2 me Année, No. 62. | Lundi-10-9-1934

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم | ٤٢٣٩٠
| ٤٠٥٣٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

العـدد ٦٢ « القاهرة فى يوم الاثنين أول جمادى الثانية سنة ١٣٥٣ — ١٠ سبتمبر سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــدد

حقائق التـــاريخ

لا يمكن أن يطمسها التشريع

صُفد القلم، وصُفدت حرية الرأى والفكر فى مصر، فى الأعوام الأخيرة، بأغلال وقيود شتى لم نعرفها حتى فى أشد أيام الاحتلال؛ والتمس المشرع لصوغ هذه الأغلال والقيود مختلف المعاذير فى مختلف الفرص؛ فتارة يقال لنا إنه يشرع لحماية النظم الأساسية للدولة من الدعوات والمبادىء الثورية، أو لحماية الحكومة والهيئات العامة من مطاعن خصومها السياسيين؛ وتارة يقال لنا إن سيل الأدب الملحد أو الماجن يكاد يطغى على الدين والأخلاق، فهو يشرع لحماية الدين والأخلاق؛ وكان التشريع يجرى فى هذه الحدود الى ما قبل بضعة أعوام؛ وكنا نعتقد أن المشرع قد وصل فى مختلف القوانين التى أصدرها الى ذروة الشدة والتحوط لما يريد تحقيقه من الغايات السياسية والاجتماعية، وأنه لم تبق للقلم والرأى حريات حقيقية يستطيع أن يحد منها بعد؛ ولكن صدرت فى الأعوام الثلاثة الأخيرة عدة قوانين جديدة للقضاء على ما بقى من مظاهر حرية الرأى والقلم، أولها قانون الصحافة المعروف، وثانيها قانون تحريم نشر الأخبار الجنائية والقضائية والادارية إلا فى حدود معينة، وثالثها قانون تعديل

العقوبات الخاصة بجرائم النشر والسب والقذف ، ودفعها الى حدود لم يسمع بها من قبل ، وأخيراً ، فى هذه الآونة ، يقال لنا إن المشرع ينشط من جديد لفرض أغلال وأصفاد جديدة لا على الصحافة وحدها ، بل على ناحية أخرى هى عرض التاريخ أيضاً .

إذاً لم تنته حلقات هذه السلسلة المدهشة من قوانين وأحكام فريدة فى شذوذها وشدتها ، بل يراد أن تكمل بما يرى المشرع أنه نقص فى حلقاتها حتى يكمل سحق البقية الباقية من هذه المظاهر الضئيلة التى يستطيع القلم المصفد أن يبدو فيها خلال هذه الخطوب التى تغمره ؛ ويراد فوق ذلك أن يتناول التشريع الجديد ناحية علمية أدبية محضة كان المشرع يحوم حولها من قبل بطرق ونصوص غير مباشرة ؛ ولكنه يزمع اليوم أن يتناولها صراحة وبطريقة مباشرة ؛ فيفرض قيوداً خاصة على كتابة التاريخ ، ويعاقب أولئك الذين يسمحون لأنفسهم بحرية العرض أو النقد فى تدوين حوادث التاريخ أو تراجم أشخاصه .

ليس هنا موضع التحدث عن هذه القوانين من الناحية الدستورية أو السياسية فقد قتلتها الصحافة السياسية من هذه الناحية بحثاً ومناقشة ؛ ولكنا نريد فقط أن نتحدث عن أثرهذا التشريع المنشود فى سير الحركة الأدبية والمباحث التاريخية .

لا ريب أن هذا الحجر الجديد على عرض الحقائق التاريخية سيثير صعاباً علمية جمة ، وسيكون ضربة شديدة لحرية البحث ونزاهته ؛ بيد أنه لن يحقق الغاية التى يعقد عليه تحقيقها ؛ وقد أشير إلى طرف من الأسباب التى تتخذ حجة لتبرير هذا الحجر ، فقيل إنه قد ظهرت فى العهد الأخير كتب ومباحث تاريخية بها مطاعن ومثالب فى حق بعض الأمراء السالفين ورؤساء الحكومات الأجنبية الحاليين ، واتخذ العرض التاريخى شعاراً لهذا التجريح ، وانه يجب أن يوضع حد لذلك . وجوابنا أن حقائق التاريخ لا تتجزأ ، والمؤرخ المحقق لا يمكن أن يتقيد فى سرد هذه الحقائق إلا بالمراجع والأسانيد والوثائق ، ولا يمكن أن يخضع لغير ضميره ومقتضيات الحق والنزاهة . وحياة الذاهبين من الزعماء والقادة ملك التاريخ ، لا سلطان لإنسان عليها غير سلطان العلم ؛ فالتوسل بالتشريع إلى طمس الحقائق التاريخية تدخل غير مسوغ فى حرية العلم والبحث ، وبجن على الحقيقة لا يخلق بعصرنا عصر العلم والحقيقة والنور .

والحجر على حرية البحث والكتابة على هذا النحو يلقى سحبا من الشك على قيمة الكتب والمباحث التى تصدر فى ظله حتى ولو كانت جديرة بالتقدير ؛ ومن المستحيل أن تنقلب المثالب إلى مناقب بقوة التشريع ؛ والعلم ليس له اليوم حدود ولا وطن ، فاذا استطاع المشرع أن يصفد الأقلام فى مصر ، فليس فى وسعه أن يصفدها فى أى أرض أخرى ؛ وأرض الله واسعة . والتاريخ يكتب بكل اللغات الحية ؛ وهذه اللغات تقرأ فى مصر ، كما تقرأ فى غيرها . هذا إلى أن مالدينا اليوم من الكتب والمباحث فى الميادين والموضوعات التى يراد حمايتها بقوة القانون يلقى عليها ضياء لا يمكن أن تطمسه بعد أية قوة أو بطش .

كان لويس الخامس عشر يعتبر حتى عصرنا أشنع مثل للملكية الظالمة الباغية المسرفة ؛ وكانت النشرات القاذفة تنثال عليه إبان حياته من أقلام قاسية لاذعة كقلم ڤولتير ؛ فكان الباستيل مأوى القاذفين ؛ ولكن هل استطاع الباستيل وكل ضروب البطش والمطاردة الأخرى أن تخمد الصيحات المنبعثة أو تطمس الحقائق الثابتة فى هذه الحياة الفياضة بالأثم والبغى ! ومع ذلك فقد وجد فى أيامنا من كتاب التاريخ من يذهب فى سيرة هذا الملك رأيا آخر ، ويقول إن التاريخ قد ظلمه ، وأنه كان فى أخطائه ومثالبه دون ما يصوره بكثير .

وكانت لوكريزيا بورجيا إبنة البابا اسكندر السادس تعتبر حتى عصرنا أشنع مثل للأميرة الفاجرة التى تضطرم بأوضع الأهواء والشهوات ، وتنحط إلى أسفل درك من الرذيلة والأثم ، فجاء أخيراً مؤرخ بارع هو العلامة فونك برنتانو ، وأصدر كتاباً عن حياة هذه الأميرة ، وفيه يصورها لنا امرأة عفيفة فاضلة ، ويدفع عنها كل الجنايات والآثام التى نسبت إليها . وكان الباستيل يعتبر حتى عصرنا أروع سجون التاريخ فجاء فونك برنتانو أيضاً يقول إن الحياة فيه كانت ناعمة ، وكانت تنتظم بين جدرانه القاتمة جميع مجالى اللهو والانس والترف .

والخلاصة أن التاريخ ملك البحث الحر وملك الزمن ، فاتركوه يجر مجراه الحر ؛ وثقوا أن من المحال أن يحول التشريع دون ظهور الحقائق غير المرغوب فى ظهورها ؛ فللتاريخ مسمع حاد يصل الى ما وراء الجدر ، وبصيرة ثاقبة تنفذ إلى أعمق الظلمات . وإنما تطلب الحماية للحقيقة لا لغيرها .

« مؤرخ »

سيّدنا

للأستاذ أحمد أمين

كان لسيدنا الشيخ سيد عبد الرحمن كتّاب فى حى وطنى فى قسم الخليفة ، أسلمنى له أبى وأنا فى السادسة من عمرى .

كان هذا الكتاب بيتاً من بيوت الوقف ، يتكون من طابقين ، طابق أرضى فيه حجرتان احداهما سبيل لسقى الماء كان قد هجر عندما ذهبت اليه ، والأخرى لسيدنا ينام فيها أحياناً ، وفى الطابق العلوى حجرتان كذلك ، احداهما لأولاد الكتاب يقرأون فيها ، والأخرى لسيدنا أيضاً ، وبين الحجرتين «فسحة» فى أحد أركانها زير ماء لاتعرف لونه مما توالى عليه من أحداث الزمان ، وعليه غطاء من خشب ، قد كسر ولم يهتم أحد باصلاحه ، وعلى الغطاء كوز صفيح قد شُد بحبل فى مسمار فى الحائط ، حتى لاتذهب به الأولاد من مكان الى مكان ، وخشية أن يقع الكوز فى أسفل الزير ، فاذا كان مربوطاً ووقع استطعنا أن نشده بالحبل ، والماء إن تلوث بوقوع الحبل فيه ، فهو أقل ضرراً من مد اليد عارية وغوصها لاستخراجه .

وأدوات الكتاب : حصير فرش على البلاط ، يبلى أحياناً فتنتثر عيدانه ، ومع ذلك يبقى الى أن يحنن الله على سيدنا فيشترى حصيراً جديداً ، وصندوق من صناديق السكر أو الجاز وضع فى زاوية من زوايا الحجرة ، نضع فيه ألواحنا — وهذه الألواح أكثرها صفيح ، تسوَدّ أحياناً ويذهب طلاؤها حتى لاتتبين الكتابة منها — وكيف يبين أسود من أسود ؟ وأقلها خشب قد طلى بدهان أبيض ، وله أطار لُونّ بلون بُنى ، وذلك خاص بأولاد الذوات وأشباههم .

هذا كل ما بالكتاب من أدوات ، ومعاذ الله أن أنسى شيئاً أهم من ذلك كله ، وهو مجموعة عصى من جريد النخل ، تختلف طولاً وقصراً ، أما القصيرة فيستعملها سيدنا لمن يُسمّع عليه اللوح أو « الماضى » فيخطىء فتدركه هذه العصا ، وأما الطويلة فعندما يرى سيدنا طفلاً فى آخر الحجرة لايهتز وقت قراءته أو يتهاون فى حفظه ، فما يشعر إلا والعصا الطويلة نزلت عليه وصحبها من سيدنا « اهتز ياولد » — وقد كان لهذه العصى ماطال منها وما قصر ، أثر فى نفوسنا لاينكر ، فكثيراً مارعبنا لأن خيالنا صوّر لنا أن سيدنا يريد أن يهوى علينا بعصاه ، وفى الواقع لم يكن شىء من ذلك ، وإنما هو الرعب ملك نفوسنا ، ويحصل هذا أحياناً حتى فى البيت ، فننسى أننا خرجنا من الكتاب ، وأننا بين أهلينا ، فنرتجف بغتة لحركة تشبه حركة سيدنا فى الكتاب .

وإلى جانب هذه العصى « فلقة » وهى عصى غليظة من خشب متين قد ثقب فى وسطها ثقبان يبعد ما بينهما نحو شبر ، وركب فى هذين الثقبين سير من جلد أو نحوه ، فاذا شكا الولد أبوه أو غضب عليه سيدنا أدخل رجليه فى هذا السير ولواه عليهما ، وأمسك بطرفى الفلقة ولدان كبيران شديدان من أولاد الكتاب ، فلم تستطع الرجلان حركة ، وانهال عليه سيدنا ضرباً بالعصا والولد يصيح « فى عرضك ياسيدنا » « حرمت » « أتوب » ! ولست أنسى مرة أفرط فيها سيدنا فشق عقبى وسال منه الدم ؛ وكان عزائى الوحيد أنى مكثت بعيداً عن سيدنا نحو أسبوعين .

وهذا كل ما كان فى الكتاب من « موبليات » .

كان سيدنا يحفظ القرآن حفظاً جيداً ، ويكتب كتابة عاجزة ، وهذا كل ماله من ثقافة ، كان يطوف فى الصباح على البيوت يقرأ فيها ماتيسر من القرآن ، ويخرج من بيت إلى بيت حتى يتم دورته ، وكان موظفاً فى مسجد يؤذّن فيه ، فاذا حان وقت الظهر أو العصر خرج من الكتاب للأذان والصلاة — وفى غيابه صباحاً أو ظهراً أو عصراً يتركنا لعريف يقوم مقامه ، ولكن كان العريف ولله الحمد أهون علينا من سيدنا ، فكنا نتنفس الصعداء إذا خرج ، ونصاب بالرعشة إذا حضر .

وكان برنامج الكتاب ينحصر فى كلمة هى « تحفيظ القرآن » فيبتدىء بتعليم حروف الهجاء على طريقة غريبة ، فأول درس كان هو « أألف » وهى كلمة حفظتها ولم أفهمها إلا وأنا طالب فى مدرسة القضاء . إذ فهمت أننا لوتهجينا كلمة ألف لكانت ألفاً ولاما وفاء ، وما أدرى ما السر فى هذا البدء على هذا الوضع — حتى إذا عرف الولد شيئاً من القراءة والكتابة بدأ بكتابة جزء من القرآن فى اللوح يحفظه كل يوم وهو فى اثناء ذلك « يثبت الماضى » ويمضى النهار كله فى هذا الباب ، فلا إملاء ولا حساب ، ولا يعرف سيدنا شيئاً من ذلك ، ولا نستريح من هذا العمل إلا وقت الغداء فاذا حان الظهر جمع « سيدنا » من كل ولد ملليمين أو ثلاثة

أو خمسة ثم بعث بولد كبير فأتى له بماجورين مملوءين ، أحدهما فيه قليل من فول نابت وكثير من مرق ، والآخر مملوء مخللا بمائه وخله ، وتحلق الأولاد حلقة ، وأخرج كلّ رغيفه ، وكان قد أحضره معه فى الصباح تحت إبطه ، وضربوا بأيديهم فى الماجورين وأكلوا هنيئاً مريئاً — وقد رحمنى الله من تمثيل هذا الفصل إذ كان بيتنا بجوار الكتاب أستطيع أن آكل فيه وأعود — وبين هؤلاء المريض والقذر ومن تلوثت يده بالحبر .

لا تعجبنْ من هالك كيف توى   بل فاعجبن من سالم كيف نجا

***

كان « سيدنا » غريب الأطوار عرف فى الحى باسم الشيخ سيد المجذوب ، يلبس المرقع من الثياب فلم أره يوماً لبس « مركوبا » جديداً ولا عمة نظيفة ولا قباء ولا عباءة جديدين ، فكأنه كان يتحرى القديم من كل شىء ويشتريه ، كان يتزهد فى أكله ولبسه وحديثه ، ويهزأ بالناس ولا يعيرهم التفاتا ، فهو يمشى مسرعاً مشياً يشبه الجرى ، ويأكل فى الشارع وهو على هذه الحال ، وإذا ناداه منادٍ لا يلتفت إليه ، فكان بذلك يلفت أنظار الناس والأطفال ، ويعجب منه بعضهم ، ويتبرك به بعضهم ، وكان فى المجالس العامة غريباً ينتحى ناحية وحده ويفر من الناس ويستوحش منهم ، وفى مجالسه الخاصة واعياً أنيساً لطيفاً .

لم أره مرة يقرأ فى كتاب ، وما أظنه كان يعرف ذلك ، ولكنى مع هذا أذكر له حادثة حيرتنى حقاً — فقد خرجت من كُتّابه ، وأتممت التعليم فى مدرسة ابتدائية ، ثم قطعت مرحلة بعدها فى التعلم — ثم ذهبت إلى مدرسة القضاء ومكثت فيها نحو أربع سنوات ، ثم لقيت سيدنا فى الطريق فسلمت عليه فى احترام واجلال اعترافا بفضله علىّ فى أول مراحل التعليم ، ولكنى أطوى بين جنبىّ إدلالاً بنفسى عليه ، فأين هو الآن منى ؟ لقد درست طبيعة وكيمياء ، ودرست رياضة نظرية واسعة من حساب مثلثات وتوافيق وتراتيب ولوغارتمات ، ودرست علوما دينية مختلفة الأشكال والأنواع ، وعلوما مدنية من تاريخ وأصول قوانين ونظام ادارة وما إلى ذلك — فأين سيدنا من هذا كله وهو لاحظّ له من علم إلا أن يحفظ القرآن ، ولكن ما أدهشني حقاً أنه أخذ يسألنى عن حالى وجرى من ذلك إلى الأدلاء برأيه فى العالم وفلسفة الكون عن طريق صوفى ، فاذا أنا أسير معه ملتذاً من حديثه معجبا بقوله إعجابا يفوق ما كنت أضمره لأساتذتى فى المدارس العالية ، واذا أنا أذهب معه حيث يذهب وأجلس معه حيث يجلس حتى أتم حديثه الممتع اللذيذ فى ساعتين أو أكثر ، ولوددت أنه طال أكثر مما كان — لست أذكر الآن حديثه وقوله ، ولا أذكر ماذا كانت نظراته فى الحياة ، ولكنى أذكر لذة حديثه وفائدة درسه .

***

ثم راحت أيام وجاءت أيام ، وإذا لى ولد ، واذا بى أرسله إلى « روضة الأطفال » ، وإذا مكان الكُتّاب ذى السبيل والحصير ، بناء فسيح ذو حديقة غناء ، وتخت وأدوات شتى ، ومكان العصى و « الفلقة » ، بيانو وآلات موسيقية ، ومكان مواجير الفول والمخلل ، لبن وبسكوت فى الساعة العاشرة ، وأكل نظيف يشرف عليه الطبيب فى الظهر ، ومكان برنامج كتابنا الذى ليس فيه إلا حفظ القرآن برنامج دقيق مفصل محدود بالساعة والدقيقة فيه غناء وفيه لعب ، وفيه مبادىء القراءة ، وبه ماشئت من تنوع واختلاف ، ومكان سيدنا الشيخ سيد عبد الرحمن آنساتنا العزيزات .

وأتى ابنى يوماً يقول إن « أبلة » فلانة علمتهم اليوم درساً جديداً ، قالت هذه « ستى » ا ، وهذه « ستى » ب ، وستى ا لا شىء عليها ، وستى ب من تحتها نقطة ، فقلت أين هذا مما كنا نتعلمه من « ألف ، بابا ليف ، بوبا واو بى با يه » .

ورأيته ينشد أناشيد « سمير الأطفال » ونحوها فقلت أين أنت من أبيك ، وقد كان ينشد فى العصر قبل الذهاب إلى البيت الأناشيد الدينية .

ورأيته يزكم فيجلس فى البيت ثم يذهب إلى المدرسة فتأبى عليه إلا أن يأتى بشهادة طبيب بأنه برىء ولم يكن مرضه معديا ، فقلت لحا الله زماناً لم نكن نعرف فيه طبيباً ، وكان حولنا فى الكتّاب مرضى لايعرفون أن الزكام مرض ، وكان أصحاؤهم ومرضاهم يشربون من زير واحد بكوز واحد .

ورأيته فى سنه لايحفظ شيئاً ، وكنت وأنا فى سنه أحفظ جزءاً كبيراً من القرآن .

ورأيته يعرف من الأشغال اليدوية والرسم والتلوين ما لا أعرفه إلى اليوم .

[البقية فى أسفل الصفحة التالية]

وراءته ورأيته ؛ ورأيتني ورأيتني

* * *

أخشى أن نكون فى كلا الحالين مُفْرطين ومفَرطين ، وأن نكون فى « كُتَابنا » قد غلونا وفى « رياض أطفالنا » قد غلونا

أخشى أن يكون الكتاب قسا وأسرف فى القسوة ، ورياض الأطفال ماعت وأسرفت فى الميوعة ، أخشى أن نكون فى كتابنا قد وضعنا أمام الطفل كل العقبات فلم يستطع أن يجتازها إلا القليل ، ونحينا فى « رياض الأطفال » كل العقبات فاجتازوها جميعاً ، ولكنهم خرجوا لا يعرفون كيف يجتازون عقبة عرضت ، ولا يصبرون على شدة ألمت ، ولا يتحملون مشقات العلم ومعاناة الدرس ، ولا يعالجون مايعن من مصاعب الحياة — وآية ذلك أن الجيل السابق — مع كثرة من تخلف — كانوا أصبر على الدرس وأحمل للمكاره والمشاق ، وأن الجيل الحاضر أنعم وأظرف وألبق ، ولكنهم لا يصبرون على مكروه حتى العلم .

أحمد أمين

قصيرة مترجمة:

لحوم البـــحر . . .

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

لكأنما والله قد تمدَّد على سِيفِ البحر فى اسكندرية شيطانٌ ماردٌ من شياطين مابين الرجل والمرأة . يخدع الناسَ عن جهنمَ بتبريد معانيها . . وقد امتلأ به الزمانُ والمكان ؛ فهو يُرْعِشُ ذلك الرملَ بذلك الهواء رَعشَةَ أعصاب حية ؛ ويُرسلَ فى الجو نفخاتٍ من جُرْعَة الخمر فى شاربها ثارَ فعربد ، ويُطلِعُ الشمس للأعينِ فى منظر حَسْناءَ عُريانةٍ ألقت ثيابها وحياءها معاً ؛ ويُرْخى الليل ليغطى به المخازى التى خجل النهار أن تكون فيه .

ولَعَمرى إن لم يكن هو هذا الماردَ فما أحسَبُه إلا الشيطان الخبيث الذى ابتدع فكرة عرض الآثام مَكشوفةً فى أجسامها تحت عين التقىّ والفاجر لتعمل عَملها فى الطباع والأخلاق ؛ تَسَوّلَ للنساء والرجال أن ذلك الشاطئ علاجُ الملل من الحر والتعب ، حتى إذا اجتمعوا فتقاربوا ، فتشابكوا ، سَوّلَ لهم الأخرى أن الشاطئ هو كذلك علاج الملل من الفضيلة والدين .

ولئن لم يكن اللّعينان فهو الرجيمُ الثالث ، ذلك الذى تألّى أن يفسد الآدابَ الانسانية كلَّها لفساد خُلُقٍ واحد ، هو حياءُ المرأة ؛ فبدأ يكشفها للرجال من وَجهها ولكنه استمر يكشف . وكانت تظنه نَزْعَ حجابها فاذا هو أولُ عُرْيها . . وزادت المرأة ، ولكن بما زاد فجورَ الرجال ، ونقصت ولكن بما نقص فضائلهم ، وتغيرت الدنيا وفسدت الطباع . فاذا تلك المرأة ممن يقرونها على تبذلها بين رجلين لا ثالثَ لهما : رجل فَجَرَ ، ورجل تخنّث . .

* * *

هناك فكرة من شريعة الطبيعة هى عقل البحر فى هؤلاء الناس ، وعقل هؤلاء الناس فى البحر ؛ إذا أنت اعترضتَها فتبيّنتها فتعقّبتها ، رأيتَها بلاغة من بلاغة الشيطان فى تزيينه وتطويعه ، وأصبتَ فكرهُ مستقراً فيها استقرار المعنى فى عبارته ، آخذاً بمداخلها ومخارجها . وما كان الشيطان عَيِيّاً ولا غبياً ، بل هو أذكى شعراء الكون فى خياله ، وأبلغهم فى فطنته ، وأدقهم فى منطقه ، وأقدرهم على الفتنة والسحر . وبتمامه فى هذا كله كان شيطاناً لم تسعه الجنة إذ ليس فيها النار ، ولم تُرْضِه الرحمة إذ ليس معها الغضب ، ولم يعجبه الخضوع الملائكى إذ ليس فيه الكبرياء ، ولم يَخْلص الى الحقيقة إذ لا تحمل الحقيقةُ شِعر أحلامه .

وما أتى الشيطان أحداً ، ولا وسوس فى قلب ، ولا سوّل لنفس ، ولا أغوى من يُغويه إلا بأسلوب شعرى مُلْتَبسٍ دقيقٍ ، يجعل المرء يَعتقد أن اطّراح العقل ساعةً هو عقل الساعة ، ويُفسد برهانهُ مهما كان قوياً إذ يرتد به من النفس الى أخْيِلةٍ لا تقبل البراهين ، ويَقطع حجته مهما كانت دامغة ، إذ يعترضها بنزعة من النزعات توجهها كيف دار بها الدم لا كيف دار بها المنطق .

فكرة من شريعة الطبيعة ظاهرها لِبَعْض الأمر من الشمس والهواء والبحر وما لا أدرى ، وباطنها لبعض الأمر من فن الشيطان وبلاغته وشعره وما لا أدرى . وما كانت الشرائع الآلهية والوضعية إلا لاقرار العقل فى شريعة الطبيعة كى تكون إنسانية لأنسانها كما هى الحيوانية لحيوانها ، وليجد الانسان

ما يحفظ به نفسَه من نفسه التى هى دائماً فوضى ، ولا غاية لها لولا ذلك العقل إلا أن تكون دائماً فوضى . .

وبالشرائع والآداب استطاع الانسان أن يضع لكلمة الطبيعة النافذة عليه ، وأن يرى فى هذه الطبيعة أثر جوابه ؛ فكلمتها هى : أيها الانسان أنت خاضع لى بالحيوانىّ فيك ؛ وكلمته هو : أيتها الطبيعة وأنت لى خاضعة بالالَهىّ فىّ .

والآن سأقرأ لك القصيدة الفنية التى نظمها الشيطان على رمل الشاطىء فى اسكندرية ؛ وقد نقلتها أترجمها فصلاً بعد فصل عن تلك الأجسام عارية وكاسية ، وعن معانيها مكشوفة ومغطاة ، وعن طباعها بريئة ومتهمة ، حتى اتَّسَقَت الترجمة على ما ترى

قال الشيطان :

ألا إن البهيمية والعقلية فى هذا الانسان ؛ مجموعهما شيطانية ...

ألا وإنه ما من شىء جميل أو عظيم إلا وفيه معنى السخرية به .

هنا تتعرى المرأة من ثوبها ، فتتعرى من فضيلتها .

هنا يخلع الرجل ثوبه ، ثم يعود إليه فيلبس فيه الأدب الذى خلعه .

رؤية الرجل لحم المرأة المحرمة نظر بالعين والعاطفة .

يرمى ببصره الجائع كما ينظر الصقر إلى لحم الصيد .

ونظر المرأة لحم الرجل رؤية فكر فقط . . .

تحول بصرها أو تخفضه ، وهى من قلبها تنظر .

يالحوم البحر ! سلخك من ثيابك جزار . .

* * *

يالحوم البحر ! سلخك جزار من ثيابك .

جزار لايذبح بألم ولكن بلذة . .

ولا يحزُّ بالسكين ولكن بالعاطفة .

ولا يُميت الحىَّ إلا موتاً أدبياً . .

إلى الهيجاء يا أبطال معركة الرجال والنساء .

فهنا تلتحم نواميسُ الطبيعة ونواميسُ الأخلاق .

للطبيعة أسلحةُ العُرْيِ ، والمخالطة ، والنظر ، والانس ، والتضاحك ، ونُزُوُع المعنى إلى المعنى . .

وللأخلاق المهزومة سلاحٌ من الدين قد صَدِىء ، وسلاحٌ من الحياء مكسور .

يالحوم البحر ! سلخك من ثيابك جزار . .

* * *

الشاطىء كبير كبير ، يسع الآلاف والآلاف .

ولكنه للرجل والمرأة صغير صغير ، حتى لايكون إلا خلوة ...

وتقضى الفتاةُ سنتها تتعلم ، ثم تأتى هنا تتذكر جهلها وتعرف ماهو . .

وتمضى المرأة عامها كريمة ، ثم تجىء لتجد هنا مادة اللؤم الطبيعى . . .

لو كانت حَجَّاجَةً صَوَّامَةً ، للعنتْها الكعبة لوجودها فى « استانلى » .

الفتاة ترى فى الرجال العُرْيانين أشباح أحلامها ، وهذا معنى من السقوط .

والمرأة تسارقهم النظر تنويعاً لرجلها الواحد ، وهذا معنى من المواخير . . .

أين تكون النية الصالحة لفتاة أو امرأة بين رجال عريانين ؟

يالحوم البحر ! سلخك من ثيابك جزار . .

* * *

هناك التربية ، وهنا إعلان الاغفال والطيش .

وهناك الدين ، وهنا أسباب الأغراء والزلل .

وتَكالُفُ الأخلاق ، وهنا طبيعة الحرية منها .

والعزيمة بالقهر يوماً بعد يوم ، وهنا إفسادها بالترخُّص يوماً بعد يوم .

والبحر يعلّم اللآئى والذين يسبحون فيه كيف يغرقون فى البر . .

لو درى هؤلاء وهؤلاء مَعرّةَ اغتسالهم معاً فى البحر ، لاغتسلوا من البحر .

فقطرة الماء التى نجّستها الشهوات قد انسكبت فى دمائهم .

وذرة الرمل النجسة فى الشاطىء ستكبر حتى تصير بيتاً نجساً لأب وأم . .

يالحوم البحر ! سلخك من ثيابك جزار . .

* * *

يجيئون للشمس التى تقوى بها صفات الجسم ،

ليجد كل من الجنسين شمسه التى تضعف بها صفات القلب .

يجيئون للهواء الذى تتجدد به عناصر الدم ،

ليجدوا الهواء الآخر الذى تفسد به معانى الدم .

يجيئون للبحر الذى يأخذون منه القوة والعافية ،

ليأخذوا عنه أيضاً شريعته الطبيعية : سمكةٌ تطارد سمكة . .

ويقولون ليس على المصيِّف حرج .

أى لأنه أعمى الأدب ، وليس على الأعمى حرج .

يالحوم البحر ! سلخك من ثيابك جزار . .

***

المدارس ، والمساجد ، والبِيَعُ ، والـكنائس ، ووزارة الداخلية ، هذه كلها لن تهزم الشاطىء .

فأمواج النفس البشرية كأمواج البحر الصاخب ، تنهزم أبداً لترجع أبداً ؛ لايهزم الشاطىء إلا ذلك «الجامع الأزهر» ، لو لم يكن قد مُسِخ مدرسة . فصرخةٌ واحدةٌ من قلب الأزهر القديم ، تجعل هدير البحر كأنه تسبيح ، وتردُّ الأمواج نقيةً بيضاء(١) ، كأنها عمائم العلماء .

وتأتى الى البحر بأعمدة الأزهر للفصل بين الرجال والنساء ، ولـكنى أرى زمناً قد نَقل حتى الى المدارس روح «الـكازينو» . .

يالحوم البحر ! سلخك من ثيابك جزار . . . !

***

هنا على رغم الآداب ، مملكةٌ للصيف والقَيْظ ، سلطانُها الجسم المؤنثُ العارى .

أجسامٌ تَعرض مَفَاتِنَها عرْضَ البضائع ؛ فالشاطىء حانوت للزواج . !

وأجسامٌ تعرض أوضاعها كأنها فى غرفـــة نومها لا فى الشاطىء . . .

وأجسامٌ جالسةٌ لغيرها تحيط بها معانيها ملتمسةٌ معانيه ، فالشاطىء سوقٌ للرقيق . .

وأجسامٌ خَفِرةٌ جالسةٌ للشمس والهواء ، فالشاطىء كدار الكفر لمن أُكْرِهَ(٢) .

(١) يرى بعضهم أن مثل هذا الوصف خطأ ، وأن الصواب أن يقال «بيض» ولسنا من هذا الرأى ، وقد غلط فيه المبرد ومن تابعوه لغفلتهم عن السر فى بلاغة الاستعمال مرة فى الوصف بالمفرد ومرة فى الوصف بالجمع

(٢) إشارة الى الآية الـكريمة : «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان»

وأجسامٌ عليلة تقتحمها الأعين فتزدريها ، لأنهـا جعلت الشاطىء مستشفى . . . !

وأجسام خليعة أضافت من استانلى وأَخَواتها الى منارة اسكندرية ، ومكتبة اسكندرية ، مزبلة اسكندرية . . .

كان جدال المسلمين فى السفور فأصبح الآن فى العُرْى .

فاذا تطوّر ، فماذا بقى من تقليد أوربا إلا الجدال فى شرعيـة جمع المرأة بين الزوج وشِبْه الزوج(١) . ؟

انتهى ما استطعتُ ترجمتـه ، بعد الرجوع فى مواضع من القصيدة الى بعض القواميس الحية . . الى بعض شبان الشاطىء !؟

طنطا مصطفى صادق الرافعى

(١) يسمى هذا فى اللغة الضمد بفتح الضاد والميم ، وهو أن يخال الرجل المرأة ولها زوج ومنه قول الشاعر :

تريدين كيما تضمـــدينى وخالداً وهل يجمع السيفان ويحك فى غمد

ومن هذا يقال فى الرجل : ذاق الضماد (بكسر الضاد) أى ذاق الطعم الذى وصفه أناتول فرانس . . .

حول ذكرى الشاعرين

شـــوقى وحافظ

كتب كثير من الأساتذة الغير ، يأسفون على إهمال حافظ ، ويتألمون على أن كتاباً لم يصدر عنه . ولم يذكر واحد منهم ، أن المكتبة العربيـة فى دمشق ، قد اخرجت كتاباً فى ذكرى الشاعرين فى (٧٥٠) صفحة كبيرة . فيه (١٢) مقالة عن حافظ لطائفة من أكبر كتاب مصر والشام كالرافعى والمازنى وطه حسين وهيكل والبشرى والمغربى و (١٦) قصيدة فى حافظ لطائفة من كبار الشعراء كشوقى (رحمه الله) والزهاوى ومطران والعقاد ومحرم والبزم والهراوى وجبرى، وأكثر من الف بيت من شعر حافظ الذى لم ينشر فى ديوانه ، ومثـل هذا عن شوقى ، وخمس مقالات فى المقارنة بينهما للزيات وطه حسين والمازنى ومطران وسعيد الأفغانى .

أفليس من الحق ان ينوّه بهذا العمل ، وان يشكر لدمشق ؟

« دمشق » « منادب »

أعظم حادث فى حياة روسو :

روسو ومدام دى ڤَرِنس

للأستاذ محمد عبد الله عنان

صدر أخيراً فى باريس كتاب عنوانه « مدام دى ڤَرِنس » Mme de Warens ، وهو عنوان لا يثير لأول وهلة كبير اهتمام ؛ ولكنا متى علمنا أن صاحبة هذا الاسم هى المرأة التى كان لها أكبر أثر فى حياة چان چاك روسو الكاتب والفيلسوف الأشهر ، وأنها إذا لم تكن معروفة شهيرة لذاتها فان روسو يخلدها فى آثاره، ويفردها فى « اعترافاته » أو ترجمة حياته أكبر مكانة ، استطعنا أن نقدر أهمية بحث يتناول هذا الجانب من حياة روسو ، وما كان له من عظيم أثر فى تكوين تفكيره وفلسفته .

نلمس أثر المرأة فى حياة كثير من عظماء الرجال ، وتمتاز هذه الشخصيات النسوية فى أغلب الأحيان بخلال قوية بارزة تمكن لها فى النفوذ والتأثير ؛ ولكن مدام دى ڤَرِنس تبدو لنا فى صورتها وخلالها شخصية عادية ، لا تحلق فى ذاتها لأن توحى بشىء من مقومات العظمة أو البطولة ؛ وكان مثولها فى حياة روسو أيام كان فتى مغموراً شريداً لا قيمة له فى مجتمع وطنه وعصره . على أن هذه الصلة طبعت نفس روسو وروحه بأعمق طابع ، وأثرت فى عواطفه وتفكيره أعظم تأثير ، وأثارت من قلمه عن مدام دى ڤَرِنس وعن صلاته بها تلك الصحف المؤثرة البديعة التى نعتقد أنها أجمل ما فى « الاعترافات » .

كانت لروسو مع مدام دى ڤَرِنس قصة من أغرب القصص وأجملها ؛ قصة « أم » وولد ، ومربية وتلميذ ، وحامية ومحسوب ، وأخيراً قصة عاشق ومعشوق ، وصاحب وخليلة ؛ وكان اتصاله بها سنة ١٧٢٨ وهو حدث فى نحو السادسة عشرة من عمره ؛ فى ذلك الحين فر روسو من جنيف مسقط رأسه ، وغادر أسرته بعد أن التحق حين كان صبيا بمكتب محام ولم يأنس ميلا للعمل فيه ، ثم بحانوت حفار لم يطق خشونته وسوء معاملته ؛ وسافر على غير هدى إلى بلدة كنفنيون من أعمال ساڤوا ، وقصد قسيسها المسيو دى بونفير وكانت بينه وبين أسرته صداقة ، فأرسله بتوصية منه إلى سيدة خيرة محسنة هى مدام دى ڤَرِنس ، لكى تعاونه على البحث عن عمل يعيش منه .

وكانت مدام دى ڤَرِنس تقيم يومئذ فى بلدة « انسى » ؛ فقصد إليها الفتى چان چاك ، وقلبه يتردد بين الخيبة والأمل . ويقول لنا روسو إنه لما وصل إلى « أنسى » فكر فى وسيلة مؤثرة يكسب بها عطف مدام دى ڤَرِنس ، فكتب إليها خطابا منمقا ضمنه كل ما وسع من الكلمات والعبارات البليغة ، ووضع معه خطاب المسيو دى بونفير . ثم ذهب إلى منزلها فلم يجدها هنالك ، وقيل له إنها سارت توا إلى الكنيسة على مقربة من المنزل ، فهرول فى أثرها ولحق بها وناداها . ثم يقول ؛ « وانى لأذكر هذه البقعة بلاريب . وكثيراً ما بللتها بعد بدموعى وغمرتها بقبلاتى . وانى لأود أن أسور هذه البقعة السعيدة بقضيب من الذهب ، وأود أن ألتمس لها إجلال العالم . ومن يقدس آثار انقاذ الانسان فعليه أن لا يقربها إلا راكعا » . وشد ما كانت دهشة روسو حينما رأى مدام دى ڤَرِنس لأول مرة ، وكان يتصورها عانسا مظلمة المحيا شديدة الورع ، وما كانت المحسنة التى يختارها القس دى بونفير لتكون فى نظره غير ذلك . ولكنه رأى بالعكس محيا يفيض بالسحر ، وعينين زرقاوين نجلاوين تفيضان بالرقة ، وبشرة ناصعة باهرة . فاستقبلته باسمة وتناولت الخطابين وقرأتهما . ثم طلبت إليه برفق أن ينتظرها فى المنزل حتى تعود من القداس .

وهنا يحدثنا روسو طويلا عن مدام دى ڤرنس ؛ فهى لويز الينور دى ڤَرِنس سليلة أسرة نبيلة من لوزان ؛ تزوجت صغيرة بالمسيو دى ڤَرنس ؛ وكان الزواج عقيما ، ولم يكن سعيداً ؛ فعافت حياة الأسرة ، وانتهزت فرصة وجود الملك ڤكتور أمديه (ملك سافوا) ذات يوم فى أڤيان ، فغادرت أسرتها ووطنها واستغاثت به ، فمنحها حمايته ورعايته ورتب لها نفقة حسنة . ثم ذاع بعد ذلك أنه يهواها ، فأبعدها إلى « أنسى » ، وهنالك نبذت مذهبها البروتستانتى واعتنقت الكثلكة إرضاء لمليكها وكان كاثوليكيا متعصبا . وكان قد مضى عليها ستة أعوام فى أنسى يوم وفد عليها روسو ؛ وكانت يومئذ فى الثامنة والعشرين من عمرها . وكانت حسناء « جمالها من ذلك النوع الباقى الذى يبدو فى المحيا أكثر مما يبدو فى التقاسيم ، هذا إلى أن جمالها كان مازال فى ذروته الأولى ؛ وكانت ذات هيئة ناعمة

جذابة ، ونظرة ساحرة ، وبسمة ملائكية . وكانت صغيرة القد ، أميل إلى القصر ، عبلة نوعا ولكن دون قبح ؛ بيد أنه لم يك أجمل منها رأساً ، ولا أجمل صدراً ويدين ومعصمين » .

وقد تلقت مدام دى ڤرنس تربية مضطربة متنوعة ترجع إلى أنها فقدت أمها عند مولدها ، فتعلمت شيئا من مربيتها ، وشيئا من والدها ، وشيئا من أساتذتها ، وكثيراً من عشاقها . وتلقت بالأخص عن والدها قشوراً من الطب والسيمياء ، وكان للأفاقين من الأطباء والسيمائيين نفوذ كبير عليها ، فكانت تقلدهم فى عمل المركبات والأدوية ، وتبدد فى ذلك ذكاءها وسحرها اللذين كانا يخلقان بأرفع المجتمعات . بيد أنها لبثت خلال هذه الغمار محتفظة بطيبة قلبها ، ورقة شمائلها ، وبشرها وصراحتها ، وحبها للبائس والمسكين ، وكان جديراً بذكائها ورفيع خلالها أن تشغل مكانة غير التى وجدت فيها ، وأن تؤدى عملا أجل من ذلك الذى كانت تؤديه .

ولقى روسو مدام دى ڤرنس « فغزت لبه وحازت ثقته من أول مقابلة وأول كلمة وأول نظرة » . ولا يستطيع روسو أن يدرك كنه هذه العاطفة العميقة التى بثتها إليه مدام دى ڤرنس منذ الساعة الأولى ، ويتساءل إذا كانت هذه العاطفة حبا ، فكيف اقترنت منذ البداية بسلام القلب ، والسكينة ، والبشر ، والثقة ؟ وكيف أنه وهو فى حضرة امرأة رفيعة رائعة الحسن ، يتوقف عليها مصير مستقبله فى معنى من المعانى ، استطاع أن يشعر بمنتهى الحرية والطمأنينة ، ولم يخالجه أى اضطراب أو وجل ؟ هذا وهو الحدث الحيى الذى لا يعرف شيئاً عن العالم .

وسألته عن أحواله ورغباته ، فقص عليها قصته ، وبعد أن فكرت ملياً فى أمره ولم تجد له حلا موافقاً ، اقترح أحد ضيوف المنزل على مضيفته أن يسافر الفتى الشريد الى تورينو ليلتحق هنالك بمعهد لتخريج الكهنة ، وفيه يلقى العون المادى والروحى ، فوافقت مدام دى ڤرنس لأنها لم تجد حلاً آخر ، وساعدت روسو ببعض المال ، فسافر الى تورينو بعد أن أقام لديها بضعة أيام أسرته فيها بساحر خلالها وبثت اليه شعوراً خالداً بالمحبة والعرفان ؛ وهنالك قدم أوراق التوصية التى يحملها . وكان المعهد معهد تبشير للكثلكة ، فلم يمض حين حتى حمل روسو على تغيير مذهبه البروتستانتى واعتناق الكثلكة ، ثم أخرج على أثر ذلك من المعهد ونفح بمكافأة صغيرة فلبث حيناً يتجول فى المدينة ، ويتنقل من مسكن الى آخر ، وهو شريد لا يدرى ماذا يصنع ، حتى ألقى به القدر الى خدمة سيدة نبيلة تدعى الكونته دى ڤرتشلى . وكانت أرمل متقدمة السن ولا ولد لها ، وكانت أديبة قارئة ، فكان روسو يكتب ماتمليه عليه من القطع والخطابات ؛ ولكنها لم تلبث طويلاً حتى مرضت ثم توفيت ؛ وغادر روسو المنزل آسفاً شريداً ؛ حتى سنحت له فرصة أخرى ، فألحق بتوصية من بعض الأصدقاء بخدمة الكونت دى جوڤون أحد رجال البطانة ، وتعرف عندئذ بالأب دى جوڤون أحد أعضاء هذه الأسرة ، وتلقى عليه دروساً فى اللاتينية والأدب القديم ، ولبث فى عمله الجديد أشهراً أخرى ، ثم أقيل منه فخرج خالى الوفاض مهموم النفس وكره البقاء فى تورينو ، واعتزم العودة الى أنسى والى مدام دى ڤرنس .

فغادر تورينو على قدميه ، ووصل الى أنسى بعد رحلة شاقة ، وقصد الى منزل المحسنة اليه ؛ وآنس فى الحال منها ذلك العطف القديم ، فارتمى على قدميها وهو يلثم يدها فرحاً ، وفاض قلبه سعادة إذ علم أنها أعدت له غرفة بالمنزل وأنه سيقيم الى جانبها باستمرار . وهنا يفيض روسو فى وصف عواطفه نحو هذه السيدة البارة الساحرة ، فيقول لنا إن علائقهما لم تثر منذ الساعة الأولى أية كلفة ، فكانت تسميه « ولدها الصغير » ويسميها « أمه » وأن هذه التسمية كانت أصدق معبر عن بساطة هذه العلائق وسذاجتها ، وبالأخص عن تجاذب قلبيهما ، وان الشهوة الجنسية كانت بعيدة عن ذهنه ، ولكنه كان سعيداً إذ وجد « أماً » فتية حسناء تغمره مداعباتها وقبلاتها — أجل قبلاتها — سحراً ، وانه كان يشعر الى جانبها ولدى نظراتها وأحاديثها بمتعة خالدة لا يستطيع أن يدرك كنهها ، يقول روسو : « كان يأخذنى سحر المقام معها ، ورغبتى المضطرمة فى أن أقضى حياتى الى جانبها ، فكنت أرى فيها دائماً ، أكانت غائبة أم حاضرة ، أماً رؤوماً ، وأختا محبوبة ، وصديقا ممتعاً ، ليس غير ؛ وكانت صورتها التى لا تفارق قلبى قط لا تفسح مجالاً لأية صورة أخرى ، فلم أك أرى فى العالم امرأة سواها ، وكانت عذوبة المشاعر التى تبثها الى تمنع حواسى من أن تنتبه الى مشاعر أخرى ، وتحمينى منها ومن جنسها كله ، وبعبارة أخرى كنت عفيفاً لأنى أحببتها ، فتأمل هذه النتائج التى لا أكاد أحسن عرضها ، وقل لى من ذا الذى يستطيع أن يصف طبيعة شغفى بها . . . »

« البقية فى العدد القادم »

محمد عبد الله عنان
المحامى

من المدنية الاسلامية

الأرقام الهنــــدية

شرقية لا غربية

للأستاذ محمد عبد السلام البرغوثي

ثلاثة عوامل أساسية دفعت الانسانية من حظيرة الهمجية التي رتعت فيها أجيالا إلى مستوى المدنية الذي تتبوأه في يومها هذا . ولا تزال هذه العوامل دعائم مدنية الانسان الثابتة وهي

(١) التقاليد الاجتماعية المتوارثة جيلاً بعد جيل ، وقد انتهت هذه التقاليد بالعقائد الدينية الراسخة التي حولت وجه البشرية شطر المثل العليا .

(٢) اللغة التي تطورت إلى آداب رفيعة سمت بالانسان إلى مدارك الحياة العليا .

(٣) العلم الذي توج بانتصارات باهرة سلمت للانسان مقاليد الحياة .

ولقد كان هذا الشرق مهبط وحي الأديان الحنيفة التي خلصت البشر من ديجور الجهل وأنارت لهم سبل الحياة القويمة . وقدم هذا الشرق للعالم الحروف الهجائية فكانت واسطة تخليد آدابه الرفيعة واكتشافاته المجدية في مجاهل الحياة ، ومفتاح ثقافة متماسكة مسرعة الخطى نحو الكمال . ومن قرائح أبناء هذا الشرق أخرج الله للعالم الدعامة الثالثة لصرح مدنيتهم هي — ألف باء الحساب — أس العلم الحديث ، فتم بذلك للانسان ثلاث وسائل فعالة تتحد وتأتلف لتدفع به في سبيل القوة نحو غاية سامية قدرها الله .

لقد بلغت الحضارة الأغريقية شأواً بعيداً من السمو ، ووضعت العقلية الأغريقية قواعد المدنية الأساسية ، وخطت للبشرية معالم مدنيتها فكانت مبرزة في كل مضمار إلا في الحساب والجبر لعوزها الارقام وهي اللبنات الأساسية في بناء هذا العلم .

ولو لم ترد الحضارة الأسلامية على تراث الاغريق سوى تلافيها هذا النقص الذي كان يعتورها لكفاها مأثرة وفخراً .

حوالي سنة ١٥٦ هـ وفد إلى بغداد تاجر هندي يحمل مقالة في الرياضيات وأخرى في الهيئة . فكانت الأولى أول رسالة رياضية ترجمت إلى العربية ترجمها ابرهيم الفزاري بأمر من الخليفة . وكانت هذه المقالة على ماهو شائع ومتعارف تحوي الأرقام التسعة والعمليات الحسابية الأساسية . ولهذا كان للحساب عند العرب اسمان: (الهندي) وهو ما كان على الطريقة الرقمية الهندية ، والارتماطيقي وهو ما نسج على أسلوب الاغريق الخالي من استعمال الأرقام .

لعل أول من أشار إلى أصل هذه الأرقام ، العالم سفيروس سيبوخت Severus Sebokht أحد أعلام مدرسة نيسابور على ما يظن في القرن السابع الميلادي ، فقد جاء في كتاب له مؤرخ سنة ٦٦٢ م عن براعة أهل الهند في العلم ما يأتي :—

« . . ولا يتسع المقام لشرح ما كان للهند من حذق للفلك وبراعة في الاختراعات التي تفوق براعة الأغريق والبابليين . وتخص بالذكر طرق حسابهم للمقادير والكميات وتفوق كل وصف ، وصفوة القول في هذا الصدد أن هذا الاحصاء والتقدير يتمان باستعمال علامات تسع » . « فعلى من يعتقد من الأغريق انهم قد بلغوا نهاية القصد في العلم أن يفقه ذلك ويدرك أن من الأمم غير الاغريق من ضرب في العلم بسهم وافر » اهـ

وعلى هذا كان الاعتقاد السائد في العالم العربي وفي أوروبا طيلة القرون الوسطى أن الأرقام من أصل هندي . وقد نشر العلامة الفرنسي ووبوك Woepocke M. F في المجلة الأسيوية التي تصدر في باريس عام ١٨٦٣ بحثاً مستفيضاً عن تاريخ الأرقام مرجعاً إياها إلى الأصل الهندي ، فكانت كلمته فصل الخطاب في ذلك العهد .

وفي مستهل القرن الحالي أثيرت ضجة حول هذا الموضوع كان فرسان حلبتها وحاملوا لوائها ثلاثة من علماء الغرب الأعلام ، أولهم كيس C. R. Kays الأميركي البحاثة في علوم الهند ، والثاني كارادفو Carra de Vaux الفرنسي الحجة في تاريخ المدنية الفارسية ، وثالثهم نيقولاوس بهنوف Nicolaus Buhnof الروسي وهو ضليع في اشتقاق اللغة . وقد شك هؤلاء في صلة الهند بالأرقام ، وقدم الأخيران فرضاً جديداً لتاريخ الأرقام .

نشر الأستاذ كيس عدة مقالات عام ١٩٠٧ في المجلة الأسيوية في البنغال عن تاريخ الرياضيات في الهند . وكتب دفو de Vaux

بحثاً فى مجلة Scientia سنة ١٩١٧ عن أصل الصفر . أما بهنوف فقد أخرج مؤلفين عام ١٩٠٨ أولهما « استقلال الثقافة الأوروبية فى العلوم الرياضية » وقد ترجم إلى الألمانية عام ١٩١٨ وثانيهما « تاريخ الأرقام »

تصدى الأستاذ كيس فى تحرياته إلى سبع عشرة لوحة نحاسية بها مخطوطات هندية يرجع تاريخها إلى ماقبل القرن العاشر الميلادى وتحوى أساس استعمال القيمة المنزلية للأرقام والأرقام ، وأثبت أنها جميعها مزيفة إلا واحدة مؤرخة سنة ٨٦٧ م . أما أقدم مخطوطة هندية تحوى الأرقام العشرة فترجع إلى سنة ١٠٥٠ .

على هذا الأساس رفض كيس قول المؤرخين السابقين الذين ذهبوا إلى أن الأرقام كانت معروفة لدى الهنود منذ القرن الثالث الميلاد . ورد على من زعم بأن الفلكى الهندى أريابهاتا Aryabhata وعاش فى القرن السادس الميلادى هو مخترع الأرقام زعمه عليه .

كان ووبوك قد عرض فى أبحاثه عن تاريخ الرياضيات إلى مخطوطات عربية جاءت على ذكر بعض مسائل حسابية كطريقة تحقيق عمليات الضرب والقسمة باسقاط التسعات ، ونعتتها بالطريقة الهندسية . ولما خيل اليه أن هذه الأعمال حسابية بحتة ولا صلة لهندسة بها ، قرر أن الكلمة مصحفة عن « هندية » . اما كيس فقد استطاع أن يثبت أن شرح هذه الطرق الحسابية ممكن هندسياً وأنه كان فعلاً معروفا لدى العرب . وعدا ذلك فقد تحرى جميع المراجع العربية التى عثر عليها فوجد أن معظم هذه المراجع لم يبحث فعلاً عن العمليات الحسابية بالطريقة المعروفة برغم أن عناوينها تشير إلى ذلك . فمن هذه المؤلفات وأقدمها مؤلف الخوارزمى الذى عثر على ترجمة لاتينية له عنوانها Algoritmi de numero Indorum وليس فيها مايشير إلى استعمال الأرقام غير هذا الاسم .

وقد عثر كيس على مخطوطات هندية جاء فيها نظام للأعداد التسعة دون الصفر يخالف النظام الآخر الذى وجد وفيه الصفر فرجح أن النظام الأخير جاء الهند من البلدان المجاورة فى أزمنة متأخرة .

ومما قوى عزيمة كيس على إنكار نسبة الأرقام للهند أن الأعداد تكتب من اليمين ، أما الكتابة الهندية فمن اليسار .

أما العالم الفرنسى دڤو فقد كان أشد جرأة فى رفض فضل الهند على الأرقام إذ قال إن مؤلفى العرب جروا فى تسميتهم الأرقام الهندية على ماجاء فى حادث الفلكى الهندى الذى وفد إلى بغداد فى عهد المنصور وهى حكاية يراها هو أنها مدسوسة من علماء النساطرة والسريان نكاية فى الاغريق الذين كانوا يتوخون التنقيص من فضل مدنيتهم ، واشارة سبوخت إلى ذلك واضحة فى روايته التى مر ذكرها . وقد تناقض رواة هذه الحكاية فى تاريخها . فالبيرونى فى مؤلفه « تحقيق ما للهند من مقولة » المطبوع بلندن سنة ١٨٨٧ (ص ٢٠٨) يسند هذه الحكاية إلى عام ١٥٤ هـ ويشاركه فى ذلك المسعودى فى كتابه « مروج الذهب » . اما القفطى صاحب طبقات الأطباء (ص ١٧٧ طبع مصر) فيسندها إلى عام ١٥٦ هـ نقلاً عن الزيج الكبير لابن الآدى . والمظنون أن البيرونى المتوفى سنة ١٠٣٨ م أخذ روايته عن المسعودى المتوفى سنة ٩٤٣ م دون تحقيق لها ، ونستدل على ذلك من اقتضابه هذه الرواية وعدم شرحها أو تمحيصها على خلاف ماعهد عنه من الاطناب والتمحيص فى أخباره الأخرى عن أهل الهند .

ويجرى دڤو فى حكمه على روايات المؤلفين العرب على طرفى نقيض من ووبوك إذ يرى أن كلمة « هندى » مصحفة عن هندسى فى كتب الرياضيات العربية . ولقد برع العرب حقاً فى تحقيق الأعمال الجبرية والحسابية هندسياً .

والعالم الروسى بهنوف بحث القضية من وجهة لغوية وذلك اختصاصه . وله فى اشتقاق اللغة سبق . فلم يرجح إلى نسبة الأرقام إلى الأصل الهندى . ويذهب إلى أن مبدأ استعمال القيمة المنزلية للأرقام كان أولاً فى (العداد Abacus) إذ يقول إن بعض هذه العدادات كان يتكون من صفوف فى كل صف حبات عشر كل واحدة تخالف الأخرى شكلا وترمز إلى رقم من الأرقام العشرة الأساسية ، وإن الأعمال الحسابية كانت ممكنة باستعمال هذه العدادات . ثم قلدت هذه الرموز كتابة فجاءت الأرقام على الصورة المعروفة . ويعتقد ان قدماء الاغريق واليونان استعملوا هذه العدادات بالرغم من عدم قيام أى حجة أو دليل يدعم مقولته .

إذا صح ماذهب إليه بهنوف من أن الأرقام تطورت من العداد

فمن المتعذر نسبتها للهند ، لأن الهنود القدماء لم يثبت استعمالهم للعداد ، وقد أخذ العرب هذه الآلة عن الفرس ، وفى تسميتهم إياه «بالتخت» الدليل القاطع على ذلك .

لقد شهد الأستاذ كاجورى المؤلف المعروف فى تاريخ الرياضيات بأمانة كيس فى البحث وتوخى الدقة العلمية وعدم التحيز والمغالاة ، والحقائق التى توصل إليها تضعف النظرية الهندية ولكنها لا تنقضها من الأساس .

اما العالم الفرنسى فقد ركب متن الشطط ومرق من أمانة العلم إلى خسة التعصب والأثرة . فقد ذهب إلى أن الأرقام من تراث المدنيـة الاغريقية انتقلت إلى الشرق عن طريق الثقافة الأغريقية فيما بين النهرين على العهد الفارسى ، وأخذها العرب عن الفرس . بينما نقل الرومان هذه الأرقام إلى أوروبا ، ولهذا تباينت هذه الأرقام شكلاً عند مختلف الأمم . وليس من باعث على هذا الاعتقاد الواهن إلا ماوقر فى نفوس علماء الغرب من إعلاء شأن الثقافة الاغريقية ونعتها بما لا تستحقه من صفات ، والحط من قدر الشرق واستهجان مدنيته . ولقد طمس هذا التعصب الخسيس مآثر المدنية الاسلامية إذ رماها بالتقليد والتقيد واللبس بينما قصر الابتكار والسمو والوضوح على مدنية الأغريق .

ومما لاريب فيه أن الأرقام تداولتها أمم الشرق فى العهد الاسلامى أجيالاً قبل أن تعرفها أمم الغرب ، وعن العرب أخذتها أوروبا ، ولا تزال تسميها بالأرقام العربية . فان كان تداولها فى القرن العاشر الميلادى على مايقرر كيس فلا بدع أن هذه الأرقام نشأت فى طرف من أطراف الامبراطورية الاسلامية الشاسعة ، ثم عمت هذه الامبراطورية قبل أن تعرفها أمم الفرنجة .

وللمستقبل أن يلقى شعاعاً على ماغمض من تاريخ هذه الأرقام وردها إلى منبتها الذى فيه نشأت . وليس لعالم غربى أن يستأثر بهذه المبرة الشرقية فى غفلة من الشرق وعجز عن التمتع بحقوقه كاملة غير منقوصة . وويل من العلم لمن ينتهك حرمة العلم ! هذا وفى فصل آخر سنأتى على انتقال الأرقام الى أوربا

محمد عبد السلام البرغوثى
مدير مدرسة حيفا الثانوية

الشخصية

للأستاذ محمد عطية الابراشى
المدرس بكلية الآداب بالجامعة المصرية

مقدمة :

إذا تقدم أحد أقاربك من الشبان لوظيفة من الوظائف ، ثم سئلت عما تعرفه عنه بالتفصيل ، فقد تجيب بأنه : شاب أمين نزيه ، صادق فى قوله ، كريم الخلق ، حسن السلوك ، سليم القلب طاهر السريرة ، كثير التفاؤل ، قليل التشاؤم . يقول ما يعتقد ، ويعتقد مايقول ، هذا من الوجهة الخلقية . أما من الوجهة العقلية فهو : ذكى ، حاضر البديهة ، حسن البصيرة ، صافى الذهن ، صادق الحس ؛ وأما من الناحية الاجتماعية فهو محب للتعاون ، عدو للأثرة ، يشارك الناس فى مسراتهم ، ويواسيهم فى أحزانهم ، يوقر الكبير ، ويعطف على الصغير . مطيع للرئيس ، وفى للنظير ؛ وأما من الناحية الجسمية . فهو قوى الجسم ، معتدل القامة ، حسن الهيئة ، جميل الذوق ؛ وأما من الوجهتين العلمية والعملية فهو مثل فى النشاط وأداء الواجب ، واسع الاطلاع ، غزير المادة . . . . . وما إليها من الصفات المختلفة التى يتصف بها ذلك المثل الأعلى من الشباب

فمجموع هذه الصفات هو عبارة عن شخصيته العليا بصورة واضحة مفصلة . وقد أثبت علم النفس التطبيقى أن الشخصية شرط اساسى للنجاح فى الحياة ، وان المؤهلات العلمية وحدها لا تكفى للنجاح ، بل يجب ان تصحب بالشخصية القوية . فكثيرون من الأطباء والمدرسين والمحامين وغيرهم قد فشلوا فى حياتهم العملية لضعف شخصياتهم مع كفاياتهم من الوجهة العلمية[1] .

ولكن ما تلك الشخصية التى طالما سمعنا الناس ولا نزال

(١) ولا يفهم مطلقاً مما تقدم أن الشخصية مقصورة على الصفات المحمودة بل إن هناك أشخاصاً ذوى شخصيات معروفة قد اتصفوا بصفات ممقوتة كالخيانة واللؤم والتشاؤم والخداع والغباوة والأثرة وحب العزلة وقبح المنظر والحمق والمهارة فى التلصص .

نسمعهم يتكلمون عنها ، ولا ندرى من أمرها شيئا ؟ وإجابة عن هذا السؤال نقول : —

تعريف الشخصية

ليس من السهل أن نحدد الشخصية ونعرفها تعريفا علميا جامعاً مانعاً ؛ فهى كالكهرباء والمغناطيسية والجارس « الراديو » لا تعرف إلا بآثارها . ولكن هذا كله لا يمنعنا ان نحاول البحث عن سرها وتعريفها ولو تعريفاً تقريبياً فنقول : —

(١) الشخصية هى مجموع الصفات والمزايا الذاتية التى يمتازبها الشخص من غيره . أو هى :

(٢) مجموعة الصفات العقلية والخلقية والجسمية والأرادية التى يتوج بها الانسان . أو هى :

(٣) مجموعة الفروق التى تميز الشخص من غيره .

والحق أن هذه التعريفات كلها تقريبية ، وأن الشخصية لا يمكن تحليلها إلى عناصرها الأولية تحليلا محسا ، ولكنها تبدو لنا فى مقدار ماعند الشخص من الاستقلال الفكرى ، وحضور البديهة ، وسرعة الخاطر ، وقوة الروح ، وهى كالحب والكره اللذين لا يمكن تعليلهما عادة ، فقد تحب شخصاً أو تبغضه لمجرد رؤيته بدون معرفة سابقة ، وقد لا يمكنك إبداء السبب . وكل ما نستطيع أن تذكره هو أن تقول : إنى أحبه أو لا أحبه . أما السبب فلا يمكن تعليله لأنه أمر معنوى وسرّ خفى يتعلق بشخصية ذلك الرجل . وقد يكون الشعور بالحب أو البغض ناشئاً عن صفات أو عيوب خاصة فى الشخص الذى تعرفه وتقابله من حين لآخر ، فنحن نحب فلاناً مثلاً لأنه مخلص كريم شجاع متفائل ، يواسى الفقير ويساعد البائس . ونكره فلاناً لأنه لا يعرف الأخلاص ، والأخلاص لا يعرفه ، يتمثل فيه البخل ، والجبن ، والتشاؤم ، والقسوة والغلظة ، لا يحنّ إلى مسكين ولا يتألم لحزين . وفى مثل تلك الأحوال نعرف إلى حد ما سبب المحبة أو الكراهة ، ولكن ليس ذلك بسهل دائماً ؛ فقد نحب الشخص فى أول لحظة نقابله فيها ، وقد نبغضه لأول وهلة قبل أن نعرف شيئاً عنه ، نحبه لظاهره أو نكرهه لهذه المظاهر ، ولا يمكننا أن نوضح الأسباب التى جذبتنا إليه ، أو التى نفرتنا منه . والسبب الجوهرى هو أن شخصيته محبوبة أو مكروهة .

هل الشخصية هبة طبيعية أُو صفة مكتسبة ؟

والجواب أن الشخصية توهب بالفطرة ، وقد تكتسب بالتربية الحق ، ولكن الطبيعية أقوى من المكتسبة . ولو كانت الشخصية هبة طبيعية فحسب لكنا ضحايا الظروف ، وما كان للتربية أى أثر فى تكوين العظماء من رجال الدين والعلم والأدب والفن . ولكن أثرها لا ينكر فى تكوين الشخصية والعظمة فى نفوس العظماء . وهنا نسأل هل قامت التربية وقام المربون حقيقة بواجبهم نحو تربية الشخصية ؟ هل قاموا بواجبهم وقد أصبحنا نفكر فيما فكر فيه غيرنا ، ونتكلم بما قاله سوانا ، ونفعل مثل من سبقنا ؟ إننا أصبحنا مقلدين فى أفكارنا وأقوالنا وأفعالنا ، مهملين أنفسنا وشخصياتنا ، لأن التربية تربيـة اتكالية ، لا تعرف معنى الثقة بالنفس والاعتماد على النفس فى التفكير والقول والعمل . وقد نادى كبار المربين وبخاصة « السر بِرْسى نَنْ » المربى الانجليزى الكبير بأن الغرض من التربية هو تربية الشخصية المستقلة ، ولكن كتب التربيـة فى واد ، والمـدارس فى واد آخر . فبينما نقول : يجب أن يربى الفرد تربية كاملة من كل الوجوه ، جسما وعقلاً وخلقاً واجتماعا ، نجد أن الفرد مهمل إهمالاً تاما من جميع الوجوه ، وأن شخصيته تُطبع بالطابع المدرسى ، وتصب فى قالب خاص ، فتفقد مظاهرها الطبيعية . كل ذلك حباً فى النظام ، ولسنا ننكر أن النظام يجب أن يكون سائداً ، بل إننا ننادى بالنظام ، ونقول دائما : النظام هو الحياة ، ولكننا نعترض على الطريقة التى بها يسود ذلك النظام ، تلك الطريقة التى تقتل شخصية الطفل وتضعف مواهبه ، ونريد طريقة أخرى بها يستتب النظام من غير إضرار بعقلية الطفل أو وجدانه أو إرادته أو جسمه أو شخصيته ، وليست هذه الطريقة بسهلة ، لأنها تتطلب مشاركة فى الوجدان ، وفهما لكل فرد من حيث الذكاء والميول والبيئة والظروف . . وما ذلك بالأمر الهين ، فنحن لا نفكر إلا فى المظاهر ، والنظام الشكلى ، والسكون العسكرى . مهما ضحينا فى سبيل هذه الأشياء من الضحايا . وإذا تحققت الثقة بين المعلم والمتعلم ، ووجدت الصلة الروحية بينهما

فمن المحال أن تكون هناك صعوبة فى نظام أو غيره ، ولن تضحى شخصية الفرد او الأفراد بعد .

الاختلاف فى الشخصية

كما أن الناس يختلفون فى الذكاء والميول الفطرية كذلك يختلفون فى الشخصية ؛ فبينما تجد هذا قوى الشخصية قد تجد ذاك خاملاً ضعيف الشخصية ، وكما أن الشخصية تختلف باختلاف الأفراد كذلك تختلف باختلاف الشعوب ؛ ففى الشخصية الألمانية تتمثل الروح العسكرية ، والطاعة العمياء ، والاتكال على الحكومة فى كثير من الأشياء . وفى الشخصية الانجليزية تبدو الثقة بالنفس ، واحترام الذات ، وتقدير الحرية الشخصية والاستماتة فى سبيلها . وفى الشخصية الأمريكية تظهر الروح العامة أو « الديموقراطية » ، وعدم الاكتراث للتقاليد ، لأن أمريكا كأمة حديثة لا تقاليد لها . وفى الشخصية الفرنسية تتغلب العاطفة على التفكير ، والنظريات على الأعمال ، وتكثر الآمال ، والميل الى الخيال ، وحب الظهور ؛ فكل فرنسى يريد أن يكون ضابطاً إذا تقدم للحرب . ولا ندرى من أين يؤتى بالجنود إذا كان الجميع ضباطا ، وإذا كانوا ضباطاً فانهم لا يفكرون فى الجنود ولا يحتفظون بهم خوفا من أن يقل احترامهم . والمثل يقال فى العلاقة بين المدرسين والتلاميذ ، فأولئك فى واد ، وهؤلاء فى واد آخر ، والصلة بين هؤلاء وأولئك لا تتجاوز صلة الحجرة الدراسية تزول بمغادرتها وتتجدد بالعودة اليها .

والشخصية صفة نسبية وقوة سرية توجد فى كل شخص الى حد ما ، وتختلف فى نوعها وقوتها باختلاف الأشخاص . وقد تكون بارزة واضحة فى بعض الأفراد يشعر بها الانسان فى الحال ، وقد تكون كامنة خفية فى البعض الآخر .

وليست الشخصية مقصورة على جنس دون آخر . ولا على طبقة دون أخرى ، فكما تكون بين المتعلمين تكون بين غيرهم ، وكما تكون بين المدنيين تكون بين القرويين . وكما تكون بين الرجال تكون بين النساء ، وكما تكون بين الأغنياء تكون بين الفقراء ، ولكلٍّ تفكيره وتقاليده وطرقه ومعيشته الخاصة . والعاديون من الناس قد يكونون فى ضنك من العيش ، ولكن لهم شخصية خاصة ، فهم يستطيعون أن يتحدثوا عن الحوادث المحلية ، ويذكروا حقائق قومية ، بروح قوية لا تنقص عن روح الكبار من القوم وقد يمتازون عنهم لأنهم لا يرددون ما يقرءون من أفكار غيرهم ، ولكنهم يصلون الى هذه الحقائق بتفكيرهم الخاص .

« يتبع » محمد عطية الابراشى

صورة

بغـــير عنوان !

للأستاذ على الطنطاوى

« هذه صورة من صور الحياة ، أعرضها على علاتها فى الرسالة ، ليلحق عليها من شاء من القراء شرحاً وحاشية وتعليقاً . »

ذهبت أمس الى الحلاّق ، وتخيّرت آخر ساعة من النهار كى يخلو لى المكان ، ولا تعرونى نَظِرة . . فوجدت عنده شاباً ، وكرهت أن أدخل فأنظره ، وأنا أكره الناس للانتظار ، فهممت بالرجوع . ولكن الحلاّق أومأ الىّ أن أدخل ، لن يلبث حتى يقوم فقد أوشك أن ينتهى . فدخلت

وكان الشاب قد انتهى حقاً ، وكان قذاله وعذاره وسالفته مقصوصة ، وكانت جُمّته مرجلة مصففة ، وكان وجهه كالمرآة الصقيلة ما فيه (والحمد لله) أثر من لحية أو شاربين ! فما باله لا يزال قاعداً على الكرسى ؟ وماذا ترى الحلاق صانعاً به بعدُ ؟ ثم اطمأننت وقلت : قد انتهى وإنه لقائم . وقعدت أرقبه فلم يرعنى إلا الحلاق يقبل على شعره فينفشه نفشاً وهو ساكت لا ينكر عليه . فقلت : لعلّه قد بدا له ، فأحب أن يقصر من هذا الشعر ، ولن يطول أمد هذا التقصير ، وإنى منتظر .

وتنظرت والحلاق ماضٍ فى عمله ، حتى اذا تم النفش غدا على رأس صاحبنا شجرة ذات فروع . . . فعجبت كيف كان هذا الشعر كله مصففاً مستقراً ، ورثيت له إذ يحمل على رأسه أبد الدهر هذا الحمل الثقيل ، وأعجبنى منه أن يزمع الخلاص منه . ولكنه لم يقصّه كما قدرت أن يفعل ، بل أشار الى الحلاق

فعمد الى هَنات سوداء لا والله ما عرفتها من قبل وسنّى سنّى ! فأدخلها النار حتى احمرّت ثم أدناها منه ، فأشفقت أن يصيبه منها أذى ، ثم فكرت فقلت : لعلّه مريض يكتوى ، وقديماً قالت العرب : آخر الدواء الكىّ . ونظرت فاذا هو يقبض على شعره باحدى هناته تلك ، ويديره عليها ، ثم يستلّها منه استلالاً ، ثم يفعل مثل ذلك وأنا أعجب ، حتى انتهى فاذا صاحبنا قد عاد جعد الشعر ، وقد كان سبطا ، فقلت : إنا لله ! رجل أصله من البربر فهو يحب أن يتشبه بأصله ، والتمست له المعاذير .

وحسبته قد انتهى وظننت أنه قائم ، ولكنه لم يقم بل أشار الى الحلاق . فضمّخ رأسه بماء (كلونية)[1] وأقبل فسرحه تسريحاً ، وعاد فمسحه بدهن استخرجه من حق صغير ، فصار لرأسه وميض ولمعان . فقلت الحمد لله قد انتهى ، ونزعت عنى طربوشى ، ثم أعدته الى رأسى حين لم يقم . ولبثت أنتظر ، وجاء الحلاق بكُمَّةٍ فوضع فيها رأسه وشدها من حوله شداً ، فقلت مُصدَّعٌ متألم فهو يخفف من صُداعه .

* * *

ثم أخذ الحلاق الملقاط ، وعمد الى حاجبيه ، فجعل ينتش منهما نتشاً وأنا أرثى له ، وألح عليه بالنظر ، علّ عينه تقع على عينى ، فأبذل له عونى ونصرتى ، فان هذا الحلاق لا يكاد يرحمه فلا يصرنى . ثم أدركت الحلاق رحمة فعفا عنه وأبقى عليه ، فنظرت فاذا حاجباه خطان كأنما خطا بقلم ؛ فقلت سبحان الله أى فتاة تعطى مثل هذين الحاجبين ثم لا تنزل راضية عن سنين من عمرها .

وفتح الحلاق خريطة فاستخرج منها كُبَّة ، أخذ منها خيطاً لفه بين أصابعه وجعل فى وسطه فرجة تضيق وتتسع كلما شدها أو أرخاها ، وأمرّ هذا الخيط على وجهه ووجهه يتمعر ويخيل الىّ أنه يقاسى ألماً شديداً ، ثم كف عنه . فلا والله ما ترك فى جبينه زغبة إلا اجتثّها هذا الخيط .

فقلت : قد انتهى ، ولم يبق فى وجهه ما يذهب به ، إلا أن يكون أنفه ، فيكون كباغى الجمال بجدع الأنف ، ولكن سرعان ما خاب ظنى فى أنه انتهى . ورأيت الحلاق يدلك وجهه دلكاً ويقرصه قرصاً ، فقلت : لا حول ولا قوة إلا بالله ، قد جُنَّ الرجل . . وإلاّ فماذا يكون هذا القرص من الحِلاَقِ ، ثم كف فنظرت فى وجه الشاب فاذا عليه حمرة الخجل ، وأنعمت النظر والتفكير فعلمت أنها حمرة الصحة والحياة ، أو حمرة الدلك والقرص ، فهممت أن أقوم اليه فالتزمه وأهنئه على هذا الاختراع : يصيب الناس الصحة بالغذاء وبالرياضة ويصيبها هو بالدلك وبالقرص ، ثم تخاذلت ورحت أنظر مشدوهاً الى الحلاق وهو يصبغ وجهه بالأبيض والأحمر ، ورأيتنى لا أطيق احتمال هذا منه وأنا أكره من النساء أن يفعلنه ، وعجبت كيف لا ينكره هو ؟ وكيف لا يغضبه أن يعامل كامرأة .

ولكنه لم ينكر شيئاً ، بل أشار الى الحلاق ، فجاء باصبع حمراء فمس بها شفتيه كما تفعل قينات السينما سواء بسواء ، فلم أستطع المكث بعد هذا وقمت فجلت فى السوق جولة . ثم عدت لما فارق الكرسى .

* * *

وما أدرى بعد كيف أصفه ؟ أأبدأ من رأسه أم من رجليه ؟ أما رأسه فقد عرفت أى شىء هو ! أما صدره وظهره فبادٍ أعلاهما ، وأما ذراعاه فمكشوفان . . ولو أنت عرضته على الناس بزينته تلك ما عرفوا أرجل هو أم امرأة .

أما (بنطلونه) فأبيض رقيق يبدو ما تحته واضحاً إلا شبراً تستره سراويلات قصار .

* * *

ثم كانت الطامة الكبرى واقترب منى الشاب يسلم علىّ وزعم أننى أعرفه .

— أنا أعرفك ؟ كلا . أراك مخطئاً .

— أوه ؟ كيف ؟ أنا تلميذك منذ كذا سنين فى مدرسة كذا ، وأنا الآن معلم فى المدرسة التى فيها ابنك .

— أنت معلم ؟ !

وندّت منى صرخة تعجب ولم أجب .

دمشق (على الطنطاوى)

---

(١) كأفريقية وصقلية

فصول مدرسية فى الأدب الدرامى

٥ – الرواية المسرحية

فى التاريخ والفن

بقلم أحمد حسن الزيات

اداء العمل — الحركات

هى أحد لسانى العمل . ومصاحبتها للكلام فى إبانة الفكرة طبيعة فى الناس منشأها ضعف العبارة وعجز اللغة عن تصور مايجول فى النفس من خواطر ومشاعر . لذلك تجد حركات الجسم وملامح الوجه تشتد وتحتد كلما أصاب اللسان عِى أو لكنة . ومِن ثم كانت الشعوب ذات الخيال القوى والأحساس الشديد أكثر الأمم حركة وأشدها لهجة . والمرء اذا ما التاث عليه القول لنقص طبيعى فى منطقة أو لضعفه فى اللغة التى يعبر بها ، اعتمد على هذه الدلالات المنظورة فمرنها وقواها كما ترى فى الأخرس والبادئ فى تعلم لغة جديدة . وأشد ما تكون الحركات قوة وظهوراً حين تثور النفس وتضطرم العواطف ، فتتفجر من اللسان والجوارح والملامح . لذلك كانت الحركات عنصراً من العمل الروائى ، وجزءاً من الفن الخطابى ، لشدة انفعالاتهما وكثرة مفاجآتهما وازدحامهما عادة بالمواقف الثائرة أو الساخرة . على أن الحركات قد تقوم بنفسها مقام الكلام كما ترى فى الخيال الشمسى والخيال الظلى والرقص التمثيلى مثلا . وليس من شأننا أن نتعرض لهذه الابحاث فلها فن آخر ، وانما حملنا على ذكر الحركات ذيادنا عن حق البلاغة فى العمل الروائى والمسرحى ، وقد مر شىء من ذلك عند الكلام عن العبارة ، وربما عدنا اليه عند بحثنا فى الدرامة

الحوار : الحوار هو مطارحة الحديث بين شخصين أو ثلاثة على الأكثر ، أما الرابع فقلما يكون له شأن فى الحديث أو خطر . ومن الصعب أن تشركه فيه مالم يكن دوره أن يظل صامتاً أثناء الحديث ، أو يؤيد بعض المتحدثين بكلمات قليلة . ويشرط أن يكون جيد المناقلة ، سديد المساجلة ، حسن التقطيع ، مطابقاً لموقف المتكلم وخلقه ، متغير اللهجة والجرس تبعاً لمقتضى الحال ، سريع الجواب قصير الخطاب ، فلا يشبه دفاع المحامى ولا خطبة الخطيب ، لأن ذلك يزهق روح الجاذبية ويبعث السأم فى النفس . وأجدر الأساليب به أسلوب الطباق والمقابلة

نجوى النفس . نجوى النفس هو حديث الممثل مع نفسه بصوت مسموع ، ومحله حين تضطرب حال الشخص ، فيتملكه الجزع ويفترسه الشك ، فينفجر بالكلام الجهير معلناً عن ضميره مصرحاً بسره ، ولو لم يكن هناك من يسمعه . وقد غالى رجال المذهب الابتداعى فى استعمال نجوى النفس ، قاصدين بذلك الى حذف الأنجياء (Les confidents) وهم أشخاص كان كتاب الأغريق ومقلدوهم من القدماء يضعونهم فى الرواية لا لشىء غير أن يسر اليهم البطل ما يفكر ويقدر بدل أن يتحدث الى نفسه . ولكن الابتداعيين باسرافهم فى النجوى ، وإسهابهم فيها لم يبرئوها من النقص والاملال . فلهوجو مثلا فى رواية هرنانى نجوى ألقاها (دون كارلوس) على قبر شرلمان بلغت ستين ومائة بيت ! وجمال النجوى أن تكون قصيرة إلا اذا كان اضطراب الشخص قوياً فلا بأس أن تطول قليلاً .

أنواع الرواية

موضوع الفن الروائى هو حياة الناس بأسرها . فهو يصور المضحك والمبكى من الحوادث ، ويصف الخامل والنابه من الناس . فاذا كان العمل الذى يمثله جديا ، والأشخاص الذين يصورهم من الطراز الأول والطبقة العالية سمى مأساة . واذا كان العمل هزلياً منتزعا من حياة العامة مصوراً لعيوبهم سمى ملهاة . أما اذا جمع بين الجد والهزل ، أو اقتصر على الجد ولكن أشخاصه من طبقة العامة والسوقة ، فتلك هى المأساة الحديثة أو الدرامة . وكل ذلك يؤدى عن طريق الألقاء ، فاذا أدى عن طريق الموسيقى والغناء ، كانت الغنائية وفروعها . وسنتناول كل نوع من هذه الأنواع بالشرح والتفصيل والتحليل ، إلا الغنائية فسنلم بها إلماماً على قدر صلتها الواهية بالأدب والبيان .

المأساة La Tragédie

تعريفها: المأساة هى تمثيل عمل عظيم يبعث فى النفوس الرعب والرحمة والأعجاب. وليس من الحتم أن تسفك الدماء وتنثر الأشلاء فوق المسرح لتحدث تلك الآثار، بل يكفى أن يكون العمل جليلاً والشخص نبيلاً، والهوى المتحكم رفيعاً، حتى ينشأ ذلك الحزن الرهيب الذى يجدر بالمأساة. ومعنى ذلك أن يكون العمل خطيراً كارجاع ملك مغصوب، أو إخضاع هوى مستحكم؛ وأن يكون الأشخاص من ذوى التيجان وطلاب العروش، لأن وجيعة النفس لمصاب الملوك أشد من وجيعتها لمصاب السوقة؛ وأن يكون الموضوع مقتبساً من الماضى ليكسب العمل جلال القدم؛ وأن يكون الهوى المحرك للرواية هو الطمع أو الأنتقام أو الحب.

هكذا كانت المأساة بعد كورني: أرستقراطية العمل والأشخاص والأسلوب والغرض. وقد درج الناس دهوراً يوجبون أن تكون نهايتها فاجعة محزنة، أخذاً برأى أرسطاليس كما علمت، ولكن هذا الرأى جانبه المنطق وخالفه الواقع فأصبح غير واجب ولا محتوم، لأن العمل قد يثير الأعجاب ويبعث الرهبة والرحمة، ثم ينتهى مع ذلك بالسرور والغبطة.

غرض المأساة: فغرض المأساة إذن هو إصلاح النفوس باثارة الرهبة من الجرم الفاضح، والرحمة للفضل المعذب، والاعجاب بالصنع الجميل. وطريقها إلى ذلك أن تمثل لنا أمثالنا وهم يصارعون الخطر ويكابدون المصيبة، على شرط أن يكون هذا الخطر مما يفزعنا، وتلك المصيبة مما يروعنا، وأن يكون هذا التمثيل مصبوغاً بلون الحقيقة حتى يخدع أبصارنا ويملك بصائرنا، فنتأثر التأثير الذى نحبه

على أنك تسألنى ما لذة المرء فى شهوده نوائب الناس وسماعه أنين غيره؟ يقول ارسطاليس إن مصدر هذه اللذة هو إتقان التقليد، ويقول (لُكْرِيس) إن مصدرها شعور الانسان بالنجاء والأمن من مصائب يصلاها غيره وهو بعيد عنها، كلذة الجالس على شاطىء البحر يبصر فى عرضه سفينة تصارع الموج وتكافح الخطر وهو رخى البال هادىء السر. ويؤخذ من خطاب الشاعر الهندى طاغور الذى ألقاه فى مسرح الأزبكية حين مر بمصر أن مصدر هذه اللذة تمثيل الحقيقة. «لأن الحقيقة من حيث هى، جمال لا يعد له جمال. ألست ترى إلى صورة المرأة العجوز أبدعها فنان ماهر؟ إنك تنظر إلى الصورة فتقر بجمالها، ولكن العجوز التى فيها ليست على شىء من الجمال، وإنما جمال الصورة أنها تمثل هذه المرأة على حقيقتها»

ونحن لا ننكر أن المرء يروقه أن يفزع من الخطر وهو بعيد، ويلذه أن يألم لمصاب غيره وهو آمن، وأن تفكيره فى سلامته من هذه الأرزاء وبراءته من تلك الأدواء سبب من أسباب سروره حين يشهد مأساة على المسرح، ولكن السبب الذى يبعث فينا تلك اللذة الغريبة من رؤية الألم وسماع الأنين غير هذا كله. فان الأطفال وهم لا يفكرون هذا التفكير يلذ لهم أن يستشعروا الرعب والرحمة من سماع الحكايات المروعة المؤثرة. يظهر أن منشأ هذه اللذة فينا عند مشاهدة المنظر الفاجع هو ميلنا الغريزى الى تمرين قوانا الجسمية والنفسية، وما يحدثه ذلك الميل فى نفوسنا من قوة الشعور بحيويتنا وعقليتنا وحساستنا وقدرتنا على العمل والتصرف. وما الأمن الذى نشعر به عند شهود هذه الفجيعة إلا شرط ضرورى لاحداث منظرها تلك اللذة لا مُسببٌ لها. وذلك التمرين الطبيعى هو علة ما نجد فى الطفل من شره الى سماع الخوارق التى ترعبه، والحوادث التى ترهبه. وهو كذلك سبب ما نرى من سعى العامة والسوقة الى الساحة التى كان يشنق فيها المجرمون أيام كان الشنق علنياً، وهو السبب أيضاً فى ميل الأمم الغليظة أو القوية الى صراع الثيران وأناشيد الحماسة، وميل الأمم الرقيقة أو الضعيفة الى تمثيل العواطف وقصائد الغزل.

أما السبب فى جعل الجاذبية المزدوجة من الرعب والرحمة أساس المأساة وروحها، فهو ما لهاتين العاطفتين دون سائر العواطف من التدرج مع الحادث، والترقى مع الخطر، والأخذ بمجامع القلب شيئاً فشيئاً الى أن يبلغا الغاية عند انتهاء العمل. أما عواطف الحماس والفرح مثلاً فانها تنشأ بقوة ثم تضمحل بسرعة

موضوع المأساة: يقع الرجل فى التهلكة والبؤس لأسباب خارجة عنه، أو صادرة منه. فالأولى تنشأ من حظه وموقفه وواجباته وعلاقاته، ومن صروف الحياة وأحكام الآلهة، وأفاعيل الطبيعة وأضاليل الناس. وأفجع هذه الأسباب وأوجعها ما دهمت البائس من مأمنه، وأتته ممن لا يتوقع منهم إلا الخير والنفع.

والأخرى تنشأ من ضعفه وغفلته وميوله وأهوائه ورذائله ، وقد تأتيه أحياناً من فضائله . وأسباب الهوى المقرون بطيبة القلب وسلامة النية ، هى أقوى الأسباب تأثيراً وأكثرها خصوبة وأروعها حكمة . ومن هذا الفرق بين الأسباب الداخلية والخارجية نشأ للمأساة مذهبان : مذهب القدماء أو مذهب القضاء والقدر ، ومذهب المحدثين أو مذهب النفس والهوى .

مذهب القدماء : فأما مذهب القدماء أو الأغريق بتعبير أصح فيعزو مصائب الأشخاص دائماً الى سبب خارج عن إرادتهم ، حتى لو اتفق أن حدث لهم ما يكرهون بسبب غفلتهم أو ضعفهم أو ميلهم كأوديب وهيكوب مثلاً حرص الكاتب على أن يخلق لهذه الأسباب أسباباً أولى كمشيئة القدر وغضب الآلهة . ولقد انتقل مذهب الأغريق الى من خلفهم من كتاب العالم باقتباس رواياتهم أو موضوعات تاريخهم ، واستعان المقلدون من كتاب الفرنج بالوهم المسرحى على تمثيل العادات والعبارات ، فظهرت مقتبسات ميروب وأوديب وإيفجينى وأورست لراسين وڤولتير على المسرح الفرنسى ، أقوى وأروع وأبدع مما ظهرت به لأوريبيذس وسوفوكليس على مسرح أثينا .

والذى حمل الأغريق ومن لف لفهم على الأخذ بمذهب القضاء والقدر فى الرواية أنه أشد تأثيراً وأقوى فجيعة . فانك لا تجد أبعث للرعب وأدعى الى الرحمة من رجل يعميه القدر فتسيره قوة غير قوته ، وتسخره مشيئة غير مشيئته ، وتعبث به إرادة متحكمة غير إرادته ، ثم تراه يجهد عبثاً فى الفرار من جريمة تراصده ، أو النجاء من مصيبة تطارده . وذلك هو مذهب الرواقيين الذى لخصه (سنيكا) فى هذه الجملة :

(إن القدر يقود ذوى الأرادة ولكنه يجر فاقديها) ذلك فضلاً عن موافقة هذا المذهب لمسرحهم وعبادتهم وسياستهم وعاداتهم مما لا نجد داعياً لشرحه وتفصيله .

مذهب المحدثين : على أن القدماء كان لهم بجانب مذهب القدر الذى أملاه عليهم الدين والتاريخ والاقليم مذهب آخر هو مذهب النفس والهوى ، ولكنهم أغفلوه إما لضعف تأثيره وإما لعدم انطباقه على نظام مسرحهم فى سعته وشكله ووسيلته ، حتى جاء المحدثون وأولهم كرنيي أبو المأساة الحديثة ، فأخذوا به وساروا عليه ، وجعلوا المأساة صورة لمصائب الرجل الخاضع لهواه ، لا لمصائب الرجل الطائع لحظه ؛ وأصبح الرجل الحر الذى يخضع لآله عادل يسمح بالشر ولا يأمر به ، ويتعرض لأرزاء الدهر بسبب أهوائه وأهواء غيره ، موضوع المأساة الحديثة وينبوع الأثر المروع الموجع الذى يأخذ بأذهاننا ووجداننا . ومزايا هذا المذهب هو أنه أخصب إنتاجا لاستمداده من ينابيع القلب البشرى الفياضة ، وأتم شمولاً لتحليله الانسان فى كل زمان ومكان دون الاقتصار على شعب معين وتاريخ معين ؛ وهو مع ذلك أبلغ حكمة وأتم ملاءمة للمسرح الحديث ، وأروع جمالاً فى التمثيل العصرى. ولولا الخوف من أن يسأم القارىء من تفصيل قد لا يعنيه لأفضت فى شرح هذه المزايا واحدة فواحدة ، ولكن فيما ذكرت غناء للقارىء المستفيد . وأما عمل المأساة وصفاته كالأمكانية ، والوحدة والجاذبية والتأثير والمغزى ، وأجزاؤه الأساسية كالعرض والتعقيد والحل وما الى ذلك من الانقلاب والتعرف والأسلوب ، فقد سبق القول فيه .

يتبع (الزيات)

بمناسبة عيد موزار (Mozart)

تكريم النوابغ

للأستاذ عبد الحميد فهمى مطر

فى الوقت الذى وصل فيه العدد الأخير من الرسالة إلى أيدى القراء كان سكان مدينة سالزبرج (Salzburg) خاصة والنمسا ويون عامة قد انتهوا من عيدهم الذى يقيمونه سنوياً ذكرى للموسيقار النابغة (Mozart) الذى لم يطل عمره أكثر من ستة وثلاثين عاماً بذَّ فيها جميع معاصريه الموسيقيين وأحدث فى الموسيقى الغربية حدثاً عظيماً لا يمحوه الزمان . ولد هذا النابغة فى ٢٧ من يناير سنة ١٧٥٦ فى مدينة (Salzburg) مدينة الحدائق والجمال ، ونشأ وترعرع فى حضن والده ليوبولد الذى كان موسيقاراً فى خدمة الكنيسة فى تلك المدينة ، وقد ظهر ميله إلى الموسيقى ولما يبلغ الثالثة من عمره ، وبدأ فى سن الرابعة يعزف بعض القطع الصغيرة وفى سن السادسة رحل مع والده إلى ألمانيا فحاز عزفه إعجاب الملوك والأمراء حتى أن الأمبراطور فرنسوا الأول أجلسه بجواره وسماه « الساحر الصغير » كما أن البرنسيس مارى أنتوانت التى صارت فيما بعد ملكة فرنسا رفعته بين ذراعيها لشدة إعجابها به ، فقال لها الطفل عندئذ : « حقاً إنك لطيفة وعند ما أكبر سأتزوج منك »

وفى سن السابعة بدأ يعزف على الكمان والأرغون فى رحلاته مع والده كما بدأ يؤلف بعض قطع صغيرة . وفى أبريل من سنة ١٧٦٤ زار مع والده انجلترا . فكان إعجاب الأسرة المالكة به كبيراً ، وقد أملى على الملكة قطعة موسيقية من تأليفه ، كما أنه أهدى إلى المتحف البريطانى مقطوعة أسماها « الله ملجأنا » « G od is our refuge »

ولما بلغ الحادية عشرة ألف أول أوپرا له أسماها «La finta Semplice» بناء على إشارة الأمبراطور جوزيف الثانى قالت عنها لجنة الفحص « إنه عمل لا يضارع » ومن ذلك الوقت أخذ يظهر حقد الموسيقيين عليه وهبوا يدسون له الدسائس فى قصر الأمبراطور ، فكان ذلك سبباً فى البؤس والفاقة اللذين لازماه طول حياته تقريباً . غير أن هذا لم يمنعه من إبلاغ رسالته وإخراج تآليفه العظيمة أثناء جولاته فى إيطاليا وغيرها من بلاد أوربا

وفى يوليه سنة ١٧٦٩ أى عند ما كانت سنه ثلاثة عشر عاماً تقريباً منحته أكاديمية بولونيا لقب « مؤلف » مع أن القانون يحرم منح هذا اللقب لمن هو أصغر من عشرين عاماً . ولقد كان عجباً أن يخرج هـذا الصبى النمساوى المولد والنشأة واللغة فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٧٦٩ ولما يبلغ الرابعة عشرة من عمره أوپرا باللغة الايطالية فى ميلانو أسماها « Mitridate Re di Ponto » أحرزت نجاحاً منقطع النظير ، ومنذ ذلك الحين اعتبر هذا الفتى سيد الموسيقى وزعيمها . وفى سنة ١٧٧٣ وبعد أن عاد إلى مسقط رأسه أخرج أوپرا بمناسبة زواج البرنس فرديناند فاقت كل ما أخرجه قبل ذلك حتى قال عنه أكابر الموسيقيين « إن هذا الصبى سيجعلنا نسياً منسياً » وزاد حسدهم له وحقدهم عليه كما زادت دسائسهم عليه فى قصر الامبراطور . وبالرغم مما كان يلاقى بسبب ذلك كله من ويلات ، وما كان يعانى من ضيق وضنك ، فانه استمر فى إتمام رسالته بما كان ينفثه فى الموسيقى من سحر ، حتى اعترف له الجميع بأنه أدخل عليها تعديلات وتحسينات غيرت من طبيعتها . وكان أشد الحاقدين عليه فى حياته « Salieri » . ولما توفى فى يوم ٥ من ديسمبر سنة ١٧٩١ مات معتقداً أن هذا الرجل هو الذى دس له السم فى الدسم كما كان يعتقد الكثيرون ، فراح بذلك ضحية نبوغه وعبقريته . ولكن النمساويين الذين يقدرون الفضل لذويه إن كان فاتهم أن يواسوه فى حياته ، فلم يفتهم أن يكرموه بعد وفاته فلقد رأيت له تمثالين عظيمين رفع أحدهما بين القصر الامبراطورى ودار الأوپرا فى ڤينا يحف به تلاميذه بآلاتهم الموسيقية ورفع الثانى فى أفخم ميدان فى مدينة « Salzburg » . وهم فوق ذلك يقيمون لذكراه فى هذه المدينة عيداً سنوياً فى شهر أغسطس من كل عام حيث يهرع اليها أكابر الموسيقيين والممثلين من ڤينا وغيرها من بلاد النمسا لاقامة الحفلات وتمثيل مختلف الروايات ، فتراها غاصة بالجماهير من مختلف الشعوب بين انجليز وأمريكيين وغيرهم . وقد بدأ عيد هذا العام يوم ٢٨ يوليه وانتهى يوم ٢ سبتمبر وكان لى حظ مشاهدة كثير من مظاهره فى تلك المدينة الجميلة . وقد مثلت هذا العام فى هذا العيد بعض الروايات المشهورة مثل Faust ،

[البقية فى أسفل الصفحة التالية]

من الأدب الاغريقي

الشـــاعر الصائم

بقلم بسام كرد علي

لقد أطبق شفتيه ولم يرد — بعد أن قضى الأيام الطوال ينشد أهل أثينا شعره الرائع العذب — أن يظل مثابراً على ما بدأ به ، فألقى نفسه فى داره والتزم حياة العزلة ، وانقطع ذلك الصوت الذى كان يغذى جميع سكان أثينا ، وسكنت تلك العواطف الثائرة وخليق بها ألا تسكن ، وهدأت تلك النسمة الالـهية التى كانت تحمل الحياة لمن يطلب الحياة ، وتشرق بأنوار الجمال لـكل من يريد الجمال

فدخل عليـه هوبول وكان من أصدقائه الملازمين ، فوجده مستلقياً على فراشه النابى ، وصاح به هوبول وقتئذ :

يا قيثارة الأرض ! ويا عندليب السماء . هل حبست صوتك انتقاماً منا نحن أهل الأرض الذين أصمت آذاننا كلمات الحسد ، وأعمت عيوننا ترهات النعيم ، وشغلت عقولنا سفاسف الملذات ، فلم يبق منا إلا هذه الأجسام المركبة من عظم الـكبر ولحم الفرائس ، ودم نجس كالخمر المسكوبة فى مجلس الدعارة .

فقام هايكلوس من مكانه وحمـل جسمه المنهوك وحاول إخراج جملة قصيرة من صدره المتهدم قال : إنى لا أزال أرى فى نومى ويقظتى ملائـكة أپولو تحاسب أهل أثينا عما حفظته من أشعار هوميروس ، وعما تعى من كلم زيوفراست ، وهيراقليط ، وسقراط ، فلا تجد غـيرك ياهوپول ، وتصرخ فى أعلى السموات بصوت موحش مهول : لقد نسى أولئك الطاغون أشعار اليونان وكلها ، وتركوا عبـــادة آلهتها ، فدعهم ياهايكلوس فى ظلمات الجهل يعمهون .

دعهم فقد عبدوا البطون والقدود ، وأضحوا قوقعات نجسة تدنس الأرض بسائلها اللزج ، ما أشدهم طغياناً وفجراً ، إنهم نسوك ياهايكلوس فثابر على صومك ولا تعد تنشدهم شيئاً ، وإن الثلاثين يوماً التى انصرمت على انقطاعك لا تكفى ، بل ثابر على صمتك فهؤلاء قوم قد نسوا ماضيهم وحاضرهم ، وعليك أن ترحم نفسك لأنى أرى أن كل كلمة من أشعارك الباهرة قد سلبت خلية من جسمك الغض .

إنى ياهوپول رأيت الملائـكة تخاطبنى غضبى : «سنترك المدينة طعماً للشياطين ، وسنحرسك فقط بعنايتنا»

[وكان هوپول جاثياً على ركبتيه بجانب الشاعر هايكلوس مصغياً لما يفسر له من أقوال الملائـكة] فوخزه هايكلوس وأشار اليه ليرى المدينة ، فأبصر الشياطين تمرح فى أسواقها وقد خيمت عليها السحب الربداء ، وأعقبها قصف الرعود الصاخبة ، فصرخ الأهلون ... وجزعوا ، وهرعوا الى الجبال والآكام ومنهم من فر واختفى فى الغابات . . . ومنهم من رضى بالاستسلام للشياطين ، فلم يستطع هوپول أن يبقى صامتاً ساكتاً ، فألقى نفسه من النافذة ، وركض نحو القوم صائحاً :

ألم أذكركم بصوم هايكلوس ، ألم أبين لـكم غضب الآلهة لعدم انقيادكم لصوت الحق .

إنكم لم تعوا الحكم المرسلة على ألسنة شعرائكم ، ولم تعبأوا بما صاغ لـكم خطباؤكم من الأقوال المأثورة .

إن هايكلوس قد بلغ به الأعياء حد النزع ، وأضحى لا يستطيع

[البقية فى أسفل الصفحة التالية]

Jedermann ست مرات كما أعيد تمثيل كثير من الروايات الأخرى فى أل « FestsPieli » . وفى مدينة « Salzburg » مسرح اسمه « Marionetten Theater » لا يعرف له قط نظير فى العالم وقد حضرت فيه تمثيل رواية Faust : يرفع الستار فترى أمامك دُمَى لا تزيد طول الواحدة على ثلاثين سنتيمتراً تتحرك أمامك على المسرح وتتكلم وتمثل أدوارها بغاية الدقة والأتقان تسطع عليها أنوار قوية زاهية مختلفة الألوان . ولقـد كنت دَهشاً طوال مدة التمثيل لحركات تلك الدمى العجيبة وللمناظر الرائعة التى كانت تسحر الأنظار وتأخذ بمجامع القلوب . فلعل أحد علمائنا يفسر لنا حركة تلك الدمى على المسرح .

وبعد فلا يسعنى الا أن أعلق أمنيتى العظيمة فى أن يحل الوقت الذى يكرم فيه الشعب المصرى نابغيه كما يكرم الأوربيون عامة والنمساويون خاصة نابغتهم العظيم موزار

عبد الحميد فهمى مطر

مقاومة مرضه الممض ، وإن جوبيتر يرثى لحالكم الأسيفة بعد أن فقدتم كل ما فى الحياة من معنى ، وأصبحتم فى حياة لا روح فيها ، فإن أثينا بعد اليوم ستقفر من الفن ، ستقفر من مواهبها السماوية ، ستقفر من بلابلها الغريدة . لم يعد يخرج بين ظهرانيكم شعراء وحكماء يفنون أجسامهم لتغذيتكم ، وينشرون الرائحة لتعطيركم ، ويصوغون الحكمة لأرشادكم .

ومازال هوبول يجول فى أحياء المدينة ويقص ما سمع من هايكلوس عن جوبيتر وأبولو والملائكة ، حتى فزع القوم ، فانتدبوا من يذهب الى هايكلوس ويرجوه وساطته بينهم وبين الآلهة ، لئلا تستمر الشياطين فى تمردها ، فانتدبوا أشخاصاً من كل طبقة وتوافدوا مستجدين أشعاره صائحين : لقد أيقنا بحكمة الحكماء ، وآمنا بحاجتنا لأمثالكم الرفقاء . . . .

فخرج هايكلوس من داره وأخذ ينشد دعاء يعيد لأثينا حياتها الأولى . . . .

بسام كرد على

رد على نقد

مكة ومشـــــهد

للدكتور عبد الوهاب عزام

قرأت وأنا على أهبة السفر فى الرسالة كلمة لأخى الأستاذ أمين الخولى عنوانها « مشهد ومكة » فلم أجد بين مشاغل السفر فراغا لاجابته ومناقشته ، وعزمت أول الأمر أن أترك كلمته حتى تتهيأ لى المناقشة فيها ، ثم بدا لى أن أكتب كلمة كعجالة الراكب ، أو كلُمْنَة الضيف ، يروى بها الأستاذ بعض ظمئه للحقيقة « وإنها لحقيقة أن تبتغى لذاتها » .

أترك كلام الأستاذ عن « فرق ما بين العقيدة والفكرة وصلة العقل بمنطقه ، والاعتقاد بسلطانه » فهذه فلسفة لم أتهيأ لفهمها ، وأعمد إلى الموضوع :

أخذت على الرحالة محمد ثابت فى مآخذ أخرى تاريخية ولغوية قوله إن الشيعة يفضلون مشهداً على مكة ، فقلت : «وأفظع من هذا كله قوله عن إخواننا شيعة إيران أنهم يفضلون مشهداً على مكة ، وكيف يعقل أن أمة مسلمة شديدة الغيرة على دينها تعتقد أن الحج الى مكة فرض ، وقاعدة من قواعد الاسلام — كيف يعقل أن هذه الأمة ترى زيارة مشهد أفضل من الحج إلى مكة الخ » ، ففقه المسألة أن الشيعة يعتقدون أن الحج قاعدة من قواعد الاسلام ، ولا يرون زيارة مشهد كذلك ، خلافاً لما رواه محمد ثابت

فهل استطاع الأستاذ أن ينقض هذه الدعوى بما روى من حديث هذا (الكوزه كنانى) الذى تسلح به للجدال ولم يستطع إخفاء فرحه به ؟

قلت : « ربما بالغ عامة الأيرانيين فى تعظيم مشهد وغيرها من المزارات الشريفة كما يبالغ عامة المصريين فى تعظيم مسجد سيدنا الحسين والسيدة زينب والسيد البدوى وابراهيم الدسوقى ، ولكن عمل العامة لا تقاس به عقائد الأمة . وهذه كتب الشيعة بين أيدينا تنطق بخلاف مازعم الكاتب » فطالبنى الأستاذ متحدّيا بأن أذكر له من كتب الشيعة التى بين أيدينا شيئاً بعينه ليرتاح القارىء

ثم قال : « وكيف يكون الأمر إذا كانت كتب الشيعة تقرر هذا التفضيل المكانى بقسوة وعنف الخ » وساق مانقله من كتاب الكوزه كنانى . وظاهر أن دليل الأستاذ الخولى لا يفى بدعواه ، فقد أدعى أن كتب الشيعة تقرر هذا التفضيل ثم لم يرجع إلى كتب الشيعة ولم يتحر أقوال أئمتهم ، ولكنه اكتفى برواية فى كتاب فرد لمؤلف لا يعرف عنه الأستاذ إلا أن له كتاباً مطبوعاً منه نسخة فى دار الكتب . فلو فرضنا أن كتب الشيعة الأخرى تؤيد رواية الكوزه كنانى لكان الأستاذ مجازفاً فى الاستشهاد بكتب الشيعة قبل الاطلاع عليها

أنا لا أطيل على القارىء بنقل نصوص من كتب أئمة الشيعة ، ولكن أعرض عليه خلاصة قراءتى :

فى كتب الشيعة روايات فى تفضيل كربلاء على مكة ، وفيها روايات يؤخذ منها تفضيل مكة على غيرها مثل هذا الحديث المروى عن جعفر الصادق فى كتاب « وســـائل الشيعة الى أحكام الشريعة » « ماخلق الله خلقاً أكثر من الملائكة ، وأنه لينزل كل

يوم سبعون ألف ملك ، فيأتون البيت المعمور فيطوفون به ، فاذا هم طافوا به نزلوا فطافوا بالـكعبة ، فاذا طافوا بها أتوا قبر النبى عليه الصلاة والسلام ، فسلموا عليه ، ثم أتوا قبر أمير المؤمنين فسلموا عليه ، ثم أتوا قبر الحسين فسلموا عليه ، ثم عرجوا ، فينزل مثلهم أبداً الى يوم القيامة .»

وفى كتب الشيعة أيضاً روايات عن فضل زيارة الحسين والرضا ، ولـكن خلاصة الروايات كلها ، وفقه النصوص الـكثيرة أن الحج والعمرة الواجبين لاتعدلهما زيارة أحـد ، وأن زيارة الحسين قد تعدل عمرة أو حجة أو أكثر من ذلك من الحج والعمرة المندوبين بعد أداء حجة الاســـلام المفروضة . وفى « وسائل الشيعة » : قلت لأبى عبدالله (جعفر الصادق) : ماتقول فى زيارة قبر الحسين ، فانه بلغنا عن بعضكم أنه قال : تعدل حجة وعمرة ، فقال : ما أصعب هذا الحـديث . ما تعدل هذا كله ، ولـكن زوروه ولا تجفوه ، فانه سيد شباب أهل الجنة . . الخ

فهذه خلاصة قراءتى فى كتب الثقات ، وذلك تصديق ماقلته فى مقالى السابق ، وفى صدر هذا المقال .

وقد ختم الأستاذ الخولى مقاله بعد أن أثبت علىّ الخطأ بقوله : « وأ كتفى بهذه الـكلمة ، قائلاً مع الأستاذ عزام فى ختام كلمتى : وإننى لراج أن يتم التعارف بين الأمم الاسلامية ، حتى لا يكتب بعضها عن بعض إلا عن علم وروية ، وتثبت وأنصاف ، والله ولى التوفيق . »

واعادة كلمتى هنا تعريض معناه أن محمد ثابت كان ثبتاً فيما كتب ، وأننى أنا غير المتثبت . ولعل الأستاذ قد عرف الآن أينا ينقصه التثبت ، على أن من فاته التثبت وهو يصف أمة مسلمة بما هو حرىّ بها وبدينها خير ممن فاته التثبت فى الادعاء على بعض المسلمين أنهم يفضلون زيارة كربلاء على الحج ، وهو قاعدة من قواعد الاسلام عند المسلمين كافّة .

عبد الوهاب عزام

فجيعة الحياة

« أبى »

للأستاذ محمد محمود جلال

يا أبعـد الناس عن لغو وايذاء ... جوزيت بالخلد عن همٍ وعن داء
مضت حياتك ركناً يستظل به ... سُغْبُ العُفاة ويؤوى البائس النائى
فـكنت آية خير ، فى حمايتهـا ... دفع الخطوب بحزم دون ضوضاء
وإذ يمينك بالاحسان فى شُغُل ... تمد يسراك ستراً عيب أعداء
عف اللسان كثير العفو فى أدب ... كم طوح الخصم فى وعظ واطراء
تغـار للحق والدنيا على ملق ... وتصرع الظلم والدنيا بأملاء
حتى أتى القدر الغلاب عن أجل ... على الصبابة بين السين والراء
فهز نعيك فى الدنيا مكارمها ... وقوّضت من حياتى كل سراء
فى غربة فجعتنى قبل موعدة(١) ... وهونت بعد رزئى فيك أرزائى

(١) افترقنا فى ١٧ يوليه — وتوفى أبى فى غيبتى ، وعلمت النبأ مساء ٢٩ أغسطس سنة ٣٣ لدى وصولى ميناء الأسكندرية

التوبة

يا حبيبى هَـذَا الحـــبُّ فَمَا يُجْدِى التَّمَنِّى
واسترَحْنَا من غرامٍ وعــذابٍ وتجنِّى
وانْتَهَيْنَا لِسُكُونٍ هاتِفِ الصَّمْتِ يُغَنِّى
وفَرَغْنَا من أمانٍ قَرَّبَتْ بالأَمْسِ حَيْنِى

* * *

يا حَبيبى هَـذَا الحـــبُّ بِقَلْبِى وَضُلُوعِى
وتراءى الـكَوْن ليْلاً فى سُكُونٍ وخشوع
وَطُيُورُ الرَّوْضِ غَنَّتْ فى الضُّحَى لحنَ الربيعِ
أَقْفَرَ القَلْبُ مِنَ الحـــبِّ فَمَا جَدْوَى دُمُوعِى؟

* * *

كانَ هَذا الُحبُّ لحناً مِنْ لُحُونِ الأَبَدِيَّة

على هامش اللزوميات

إلى المعـــرى

لعل موتاً يريح الجسم من نصب   إن العناء بهذا العيش مقترن
(المعرى)

للشاعر التونسى محمد الحليوى

أبا العلاء، أحقًّا أنت فى دعةٍ   من الخطوب، وفى سِلْمٍ من الكُرَب
هل فى رُقادك فى بيتٍ تُقيم به   على الغضاضة، ما أغنى عن النَّصب
وهل طريق الرَّدى زهراء مونقةٌ   أم حفَّها الله بالويْلات والحَرَب
وكيف كأسُ الرَّدى هل فى ثمالتها
خمرٌ، وهل شربها أشهى من الضَّرَب
وما رأيتَ وراء القبْر من عمهٍ   حارت عقولُ الورى فى سرِّه العجب
أبا العلاء، لقــد حاولتَ مجتهداً
فكَّ الرُّموز، وكشفَ السرِّ عن كَثَب
فما رأيتَ سوى طخياء حالكةٍ   وكنت تنظر خلف الباب من ثقب
واليومَ ها أنتَ لا بابٌ ولا حجبٌ   فقل لنا ما وراء الباب والحُجُب
ما علة الكون ... ما سرُّ الوجود، وما
فى هذه الأرض من صدقٍ ومن كذب
ما غايةُ الحىِّ من دنيا يُقيم بها   وما يُراد به من عَيْشه اللَّجب
والموتُ ما هو ... هل جسرٌ نمرُّ به   أم هُوَ غايتنا من كلِّ ذا التعب!
هى الحقيقة تحكى ربَّةً ملكتْ   عرشَ الألْبِ على الأرْباب والرسُل
وجرَّبتْ سحرَهَا فى الأرض فافتَتَنتْ
به الخليقةُ من فَسْلٍ ومن بَطل
خلفَ النقاب بدَتْ هَيْفاء ساحرةً   تبادل الصبَّ أفناناً من الغزل
أهلُ الصَّبابة فى الأشواق ما برحوا   يَستَشهدون ولا يحظَوْنَ بالقبل
كم من قتيلٍ قَضى فى حُبِّ ربَّته   وكم رماه الهوى بالحادث الجَلَلِ
لكنَّ ربَّتهُ ظمْأى إلى دمه   لا ترْتوى الدهرَ من علٍّ ومن نَهل
أبا العلاء، لقد راعتك نَضْرَتها   فهمتَ مفتتناً فى حبها الازلى
وعشتَ رهنَ العمى والحبس فى شظف
تنهى لهاً كلَّ ما تأتيه من عمل
وقد مضيتَ وما أدْخلتَ هيكلَها   ولا أحلَّتْكَ يومًا قنَّةَ الجبل
وكَيفَ! وهى التى فى الدهر ما رفعتْ   عنها النقاب، ولم تسفرْ إلى رجل
كلٌّ مشوقٌ وكلٌّ آملٌ ظفراً   بوصل لَيْلَى، وكلٌّ خائبُ الأمل
يا ليتَ شِعْرِى هل تخفى غِلالتُها   ملاحةً، أم حِمَى ليلى على دَخَل

* * *

أبا العلاء، وهل أجدَتْك موجدةٌ   على الحياة وتجديفٌ على القدر
الكونُ ما زال مثل العهْد مشكلةً   وسره مُضْمَرٌ فى مُغْمَرِ العصر
والدهر يمشى.. فلا شكْواك توقفه   ولا سبابك يثنيه عن الوطر
يمشى لِطيته والحىّ يتبعه   يأتى على الكُرْه أو يأتى على قدر
رحاهُ لا تنتهى فى الدّهر ضجّتُها   ولا تدورُ الرّحى إلاّ على البشر
وما عَلِمنا على التحقيق من خَبرٍ   سوى القُصور على الاتيان بالخبَر
نمشى على الدّرب فى جهْلٍ وفى عمهٍ   والليل فى حلك والدّربُ فى خطر
ما تطلعُ الشمس مصباحا لترشدَنا   كلاّ، ولكنّها رَمْزٌ على الحَقَر
والبدرُ يضحك فى عليائه أبداً   وكيف لا.. وهو يلْقانا على سَخَر
وذا الفضاء كتابٌ نُصْبَ أعيننا   يُتْلَى فيلقِى علينا خالد العِبَر
يقول فى كلِّ سطر من صحائفه:
«أفٍ لكم ما لكم فى الكوْن من خطر»
ما أنتمُ فى قضاء الله من أحدٍ   سوى هباء على الأكوان منتثر
سَوْأى لكم يا هباء هل ضجيجكمُ   ولعنةُ الأرض تثنى الدّهرَ عن سفر!

(تونس)   محمد الحليوى

كان هذَا الحبُّ إشعا   ع الأمانى القدسيَّه
كان رَوْضًا من جمالٍ   وَزهورٍ ذهبيَّه
وَهوَ طيفُ الله فى الأرْ   ضِ وَلِى أسْنَى عطيَّه

* * *

يا حبيبى كمْ تغنَّيْـ   ـنا بألحانِ الإلَهْ
وَشدَوْنا فوقَ ناى الـ   ـحبِّ أصْداءَ نداهْ
وتذوَّقنا مداماً   من سُلافات الشفاه
وَهتفنا فى حَنِينٍ:   إنَّما الحُبُّ الحياه!

حسن محمد محمود

في تاريخ الأدب المصري

أيدمر المحيوى

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

١

في عصر الدولة الأيوبية ، حينما كانت مصر زعيمة العالم الاسلامى ترفرف رايتها عليه ، وتقف فى وجه المغيرين من الصليبيين وتصد هجماتهم ، وتدفع عن بيت المقدس وتذود عن حياضه ، وتحمى مدنية الشرق وتحوطها بسياج من المناعة والقوة ، وحينما كانت مصر تقف أمام أوربا مجتمعة ، يريد الأوربيون أن ينالوا منها منالاً ، فتأبى مصر أن ينكسر عودها أو تلين قناتها ، فى ذلك العصر الملىء بأسباب القوة ، المفعم بالعظمة المصرية والمجد المصرى ، عاش الشاعر ايدمر المحيوى ، وربى فى أرض مصر ، وفوق ثراها المخصب الندى ، وهو فى أصله ينتسب الى الترك ، وإن كنا نجهل مايتعلق بأسرته وآله ، ويظهر أن التاريخ يجهل كذلك أسرته ، ولايذكر إلا أنه كان مملوكاً للأمير محيى الدين محمد بن محمد بن سعيد ، ثم أعتقه وأصبح حراً ، غير أنك إذا ذهبت تبحث عن السنة التى ولد فيها شاعرنا بله الشهر واليوم ، فانك غير مهتد الى شىء ، اللهم إلا أنه نشأ فى عصر الدولة الأيوبية فى منتصف القرن السابع الهجرى ، نستنبط ذلك استنباطاً من قصائده التى مدح بها بعض سلاطين تلك الدولة ، وإذا أنت ساءلت التاريخ عن تربيته وتعليمه فانك سوف تجد غموضاً وإبهاماً لاتستبين خلالها إلا ماقد ينم عنه شعره من أنه درس اللغة ، واطلع على كثير من شعر الشعراء السابقين والمعاصرين ، فتثقف به وتأثره ، وعارضه أحياناً كما فعل ذلك مع ابن المعتز وابن النبيه ومسلم بن الوليد والمتنبي — وإلا ماقد يكون قد تثقف به من علوم اللغة العربية على يد ولى نعمته محيي الدين الذى نسب اليه والذى ظل أيدمر حافظاً لنعمته عليه يذكرها ، ويمدح سيده بغرر القصائد والموشحات .

٢

ليس لنا اليوم إلا أن نحدثك عن شعره الذى بين أيدينا ، وقبل أن نصفه لك أو نحدثك عنه حديثاً مسهباً ، يحسن بنا أن نخبرك أن ماسوف نتحدث عنه ليس بكل شعره ، بل هو مختار منه أبقته لنا الأيام ، ولسنا ندرى إن كنا سنعثر على كل شعره أو أن الزمن بذلك ضنين ؟

أول مميزات شعر شاعرنا طول نفسه ، فقصائده أغلبها طويلة ، وقد يبلغ بها الطول الى أن تقارب المائتين ، وذلك إن دل فانما يدل على تمكن فى اللغة ، واطلاع واسع يهيئه لأن يطيل كما يشاء حتى يوفى مابنفسه ويستوفيه . ثانيها الرقة وجمال الأسلوب مع متانته ، فلست تحس بالتنافر أو نبو الألفاظ أو أن تركيباً قلق فى موضعه غير مستقر ، أو أنك تجد عسراً فى فهمه ، أو تحتاج الى وقوف طويل حتى تستبين معناه ، فهو سلس سهل ، يسبق معناه الى قلبك قبل أن يسبق لفظه الى سمعك ، وانك لتجد نفسك مسوقاً الى قراءته متى بدأت أول القصيدة لطلاوته وعذوبته ، وهو يذكرنا بالبحترى حينما نجد الألفاظ له منقادة متخيرة ، مع السهولة والعذوبة . ولا يذهبن بك الوهم الى أنه لم يستعمل ألفاظاً غريبة فى شعره ، فانه قد استعمل منها طائفة صالحة ، غير أنه كان حكيما فى استخدامها ، حصيفاً فى استعمالها ، لا يكثر منها ولا يضعها فى غير موضعها . ثالثها استعمال بعض المحسنات البديعية من غير إكثار منها ولاتكلف ، بل إنها تجىء سلسة سهلة ، لاتذهب برواء القصيدة ، ولا تضيع من بهجتها ، ولقد استخدم فى شعره التورية والجمع والجناس ، وحسن التعليل ، والطباق ، والاقتباس ، فهو يقول :

فى جوده السفاح أم فى عزمه المنصـــور ، أم فى غيبه المأمون

ويقول :

قضت لك الشيمتان : العـــدل والكرم
أن تخضع الأمتان العرب والعجم

وشرف الدين والدنيابدولتك الـ غراء ، والأشرفان العلم والعلم

ويقول :

ملك إذا امتدت يداه الى العدا يوم الوغى تتقاصر الأعمار

ويقول :

هو الناهب الأرواح والواهب اللهى وبانى العلا والناسك المتورع

ويقول واصفاً حماماً أحمر العين والرجل :

وأليف غصن لايفارقه صب الفـــؤاد به متيمه
يدعو بصوت أستبين به معنى الحنين ، ولست أفهمه
فيميل بى طرباً تمايلـــه ويهزنى شوقاً ترنمــه

يبدى أسى الباكى ورقته ... فى نوحه، والدمع يكتمه
بحر الأسى إنسان مقلته ... يجرى فخضب رجله دمه

ويقول من موشح:

أنت ياموسى رجائى آنسا
نار جدواه فوافى قابسا
رحت فى حضرة قدس دائسا

فى طوى السؤدد، فاخلع نعلكا ... وادعه يأت بكبرى يوشع

وكان أكثر ماأتى به فى شعره حسن التعليل، على أن كل المحسنات التى أتى بها قليلة، فهو غير مغرم بها، ولاملزم نفسه كغيره السير على منهاجها.

٣

شعر المحيوى ينضوى تحت لواء واحد وفن واحد من فنون الشعر الغنائى، هو المدح، فهو الغرض الأول فى شعره، يقصد اليه قصداً ويلم بغيره عرضاً من غير قصد، يبدأ به قصيدة المدح أو يختم به الموشح، وكان ماأتى به عرضاً يدخل فى الوصف أو فى الغزل، ولنقف وقفات قصيرة لدى كل غرض من تلك الأغراض التى طرقها واصفين ودارسين.

أول ماتلمسه فى شعره المدحى أنه قد خلا من الغزل فى أوله حينما يمدح سلطاناً من سلاطين الدولة الأيوبية، بينما هو يبدؤه بالغزل عندما يمدح ولى نعمته محيي الدين بن سعيد أوغيره من الوزراء، فأى شىء تستطيع استنباطه من تلك الملاحظة؟ وعلى أى شىء تدل؟ لقد قلبنا الأمر على وجوهه، ثم خرجنا بنتيجة قد تكون قريبة من الصواب: تلك هى أن هؤلاء السلاطين لم تكن عنايتهم موجهة للغوانى والحب والغرام حتى يأسرهم الحديث عن الحب ويسترعى انتباههم، وإنما كان كل همهم موجهاً الى الحرب والقتال، وقهر الأعداء، ورد العادين من المغيرين على دولتهم، فقد كانوا كما قال أيدمر فى أحدهم:

متفرغ للمجد، لاهو من دد ... يلهيه عن كرم ولا منه دد
البيض من صنع القيون لدى الوغى ... يطربنه، لا البيض مما يولد
والأسمر الخطار يبهج نفسه ... ويسرها لا الأسمر المتأود

وإذا كانت عنايتهم متجهة نحو ميادين الحروب فماله يشغل نفسه بشىء لا يملك عليهم نفوسهم، ولا يأسرها؛ حقاً لقد كانت لهم مواطن لهو ولذة، ولكنها لذة العظمة وأبهة الملك كذلك يسترعى نظرك فى شعره كثرة مدحه لسلاطين هذا العصر بذبهم عن حياض الدين وحياطته بسياج من العزة والمهابة فهو يقول للملك الصالح:

ملك يلوذ الدين منه بمعقل ... أشب، سطاه سوره والخندق
فالدين بعد تفرق متجمع ... والكفر بعد تجمع متفرق

ويقول له:

فاسلم لدين قد هديت إليه من ... لايهتدى، وجمعت مالا يجمع
وحميت حوذته، فأصبح وهو فى ... أيام دولتك الأعز الأمنع

ويقول للملك الكامل:

فالله يشهد أن دين محمد ... بمحمد، وله الخليقة تشهد

ويقول له:

لولاه كان الدين سرحا ماله ... راع، وزندا ما عليه سوار

وذلك نتيجة طبيعية لهذا العصر الذى صبغ بالصبغة الدينية وكان القتال يدور فيه باسم الدين وباسم الدفاع عن الدين، فليكن الشعر كذلك مصبوغاً بهذه الصبغة، مثنياً على السلاطين لأنهم خدموا الدين وقاموا على صيانته.

تلمس فى شعره المدحى كذلك قوة ملوك مصر فى هذا العصر حتى لكثيراً مايسميهم ملوك الملوك وكثيراً ما تسمعه يقول لهم:

من ألقت الدنيا مقالد أمرها ... بيديه وهو بها أحق وأليق
ذو صورة تنبيك عنه أنه ... ملك الملوك الحق حين يحقق

إلى أن قال:

فجلست حيث جلست منه تزينه ... شرفا فطاف بك الملوك وأحدقوا
كل يغض من المهابة طرفه ... فتراه، وهو لغير فكر يطرق
هيهات جزت مدى الملوك إلى مدى ... رجم الظنون اليه لايتطرق

ويقول:

منح رآك الله أهلا أن تقلـ ... ـدها فقلدك الذى تتقلد
ذكرت مفاخرها الملوك وخيرما ... ذكرته منها أنها لك أعبد
ذكراك فيهم سجدة مسنونة ... فلذا متى تذكر لديهم يسجدوا
فاذا هم نظروا إليك فأعين ... حسرى، وأفئدة تقوم وتقعد
ملك الملوك وخير من عقدت له الـ ... ـتيجان فى قدم الزمان وتعقد

وإذا أنت علمت أن ملوك مصر فى ذلك الحين كانوا حقاً زعماء الملوك فى العالم، وكانوا أكبر رؤوس تطأطىء لها هام الملوك، وتنخلع من هولها قلوب الأعداء؛ وإذا أنت علمت أن مصر فى تلك الأزمان كانت أكبر مملكة فى الشرق والغرب، وأقوى دولة يقصدها الأوربيون بجموعهم، فلا ينالون منها إلا ماناله

الوعل من الصخرة ، وإذا أنت علمت أن الجيش المصرى هو الذى حمى الشرق وحفظه من الأجنبى الذى يريد أن يتحكم فيه وإذا أنت علمت أن الاسلام وحرية الأديان كانت تسهر عليهما مصر وملوك مصر ، ويحيطونهما بسياج الحفظ والمناعة ، إذا أنت علمت كل ذلك أيقنت أن هذا الذى مدح به هؤلاء الملوك لم يكن بالكذب ولا المغالى فيه ، وأمامك كتب التاريخ فاقرأها تعد مؤمناً بصدق ماقال فى قوة مصر وملوك مصر .

شعر شاعرنا المدحى يعطيك صورة عن بعض نواحى الحياة المصرية فى ذلك الحين ، فهو يحدثك عن النزاع الذى كان قائماً بين المصريين والصليبيين حينما وجه هؤلاء تيار حروبهم إلى مصر نفسها قلب العالم الاسلامى ؛ فأغاروا على دمياط ، ولكنهم فشلوا أيما فشل ، واستطاع المصريون أن يخلصوا دمياط من حوزتهم ويرجعوهم بخفى حنين ، وهو يحدثك عن هذه الجموع الكثيرة التى كانت أوربا تمد بها الجيش المحارب لدمياط ، والذى يريد الغلبة عليها ، قال أيدمر :

أيام قال الشرك بغياً للهدى ... دمياط لى ، ولك الغداة الموعد
وأتى بما ملأ البسيطة كثرة ... والله ربك هادم ما شيدوا
جيش إذا مسحت يداه بقعة ... جف المياه بها ، وذاب الجلمد
كالسيل إلا أنه لا ينقضى ... والليل إلا أنه يتوقد
وأتى بك الأسلام وحدك موقناً ... أن سوف تهزم جمعهم وتبدد
حتى إذا التقيا طلعت عليهما ... بالنصر تشقى من تشاء وتسعد
فرددت شخص الشرك، وهو مسربل ... خزياً ، ودين الله وهو مؤيد
حكمت بأسك فيهم : فمكلم ... ومجدل ، ومشرد ، ومصفد

كما يحدثك عن هذا النزاع الذى كان قائماً حول جلق (دمشق) أتبقى فى حوزة المصريين ، أم يحكمها غير المصريين ، وكانت الغلبة غالباً فى جانب المصريين ، وهو حين يحدثك عن هذا الفتح يشعرك بما فى نفوس المصريين من حب لأن تبقى دمشق ضمن حدود مملكتهم ، وأن يخفق عليها علم الامبراطورية المصرية . حتى إنه حينما كان يأتى البشير بفتح دمشق زين المصريون دورهم ، ويرفعون الأعلام على شرف الجدران تخفق كما تخفق قلوبهم بالفرح والسرور ، واستمع اليه يقول :

قد قلت إذ جاء بالفتح البشير به ... الله أكبر هذا غاية الأمل
ترنح الدهر ، واهتزت معاطفه ... وراح يسحب ذيل التيه والجذل
والأرض قد أخذت للناس زخرفها ... وازينت ، فهى فى حلى وفى حلل
مسرة فى قلوب الناس قد ظهرت ... حتى على شرف الجدران والقلل . الخ

وهو يؤمن بأن دمشق سوف تنال الخير والسعادة ، وسوف تصبح فى دعة وأمن مادامت ضمن المملكة المصرية :

فليهن جلق أنها قد أصبحت ... فى مستقر الملك ، لا تتحول
وأنا الضمين بأن سيسلى جلقاً ... عما مضى من عمرها ما يقبل

ونختم حديثنا عن مدحه بتلك القطعة الصغيرة لتكون نموذجا لبقية مدحه ، قال يمدح الملك الكامل :

الله جارك ، والورى أنصار ... فانهض ، ونل بهما الذى تختار
خضعت لهيبتك الأقارب والعدا ... وجرت بوفق مرادك الأقدار
ملك إذا امتدت يداه الى الظبا ... يوم الوغى تتقاصر الأعمار
من وجهه قمر ينير ، وسخطه ... قدر يسير ، وحدسه إبصار
وإذا القلوب تطايرت فى موطن ... نزلت عليه سكينة ووقار
ملك له من بأسه وغنائه ... حصن أشم ، وجحفل جرار
ملك يميل الى المكارم لا الدمى ... وتهزه العلياء لا الأوتار
ملك تهيم به بنات قلوبنا ... حباً ، وتعشق مجده الأشعار
لولاه كان الدين سرحا ماله ... راع ، وزنداً ما عليه سوار

فأنت تحس حقاً بأنك تقرأ أسلوب البحترى وتحس جماله وعذوبته، مدحه لغير الملوك يبدأ بالغزل ، وهو وان لم يكن مقصوداً لذاته لا بأس بجماله وعذوبته ، حتى لتتمنى حين تقرأ غزله أن لو كانت القصيدة كلها غزلية ، وإن كنا نؤكد أنه فى غزله مقلد آخذ معانى من سبقه من الشعراء ، واستمع اليه يقول من موشح :

قال لى العاذل لما نظرا
من غدا قلبى به مشتهرا :
أكذا تعشق ؟ ماذا بشرا ؟
حاش لله ؟ أراه ملكاً ... مثل ذا فاعشق ، والا فدع
هز عطف الغصن من قامته
مطلعاً للشمس من طلعته
ثم نادى البدر فى ليلته :
أيها البدر تغيب ويحكا ... ما احتياج الناس للبدر معى ؟!

فأنت لا شك تحس بالعذوبة فى ألفاظه وان كان الكثير من معانيه مقتبساً ، وكم كان بودنا لو أطال الحديث فى الغزل أو لو قصد اليه قصداً وظل يروى لنا عاطفتنا الظامئة الى غزله .

(البقية فى العدد القادم)

احمد احمد بدوى

بمناسبة الذكرى الأولى للملك فيصل

فقيد الأمة العربيـــة

للشاعر القروى

لحىٌّ برغم القبر فليخسإِ الردى … وقد سلم الغازى فلا يهنأ العدا
ولو كل موتٍ يضمن الخلدَ سارعت … اليه ملوكُ الأرض مثنًى ومَوْحدا
ولو كل حظٍ حظُّ غازى من العلى … تفاءلَ بالدنيا مُهِلٌّ فأنشدا
بنيتَ له المُلكَ الذى هو أهـله … وأطرفتَ ما هارونِ بالأمس أتلدا
فكنت آساساً وزخرفت قبةً … وذهَّبت آفاقاً وأطلعت فرقدا
ورمَّمت فى بغداد عرشاً مهدماً … وخلَّفت فى الأكباد عرشاً مؤبدا
وما أنت إلا السيف أعقبَ خنجراً … بلوناهُ فى الجُلَّى فكانَ المهنـدا
لمن أدَّب الجبَّارَ بالصفعةِ التى … تداول أسماعَ النجوم لها صدى (١)
وصبَّ على رأس السفير صواعقاً … نزلن على أكبادنا البرد والندى
رآه وقد ضلَّ الهدى فانتضى له … يداً قدحت من عينه النور فاهتدى
يمينَ شريفٍ تقعِد الطود قائماً … ولو شاءت اليسرى أقامته مُقعدا
أذابت قلوبَ الخائنين وفوَّرت … دماً فى عروق الانجليز تجمدا
ليَرْضَ عليك الله ياسبط أحمد … فانك قد أرضيت جدك أحمدا
شفيت بهذا الموقف الحر نفسه … وزحزحت عن صدر العروبة جلمدا
وكم غضبٍ أدنى من الحلم للتقى … وأهدى الى المجد الرفيع من الهدى
وما شأن مَلكٍ سامه العبد ذلة … وأبرق صعلوكُ عليه وأرعدا . !
وكم تاج ملك صار نيرًا لربه ! … وكم صولجان عاد فى العنق مِقْوَدا . !
أيزعم ذو القرنين أنك عبده … ومثلك من يلقى السلاطين أعبدا
تعوَّد منا أن نغضَّ على القذى … فعوَّدته نسيانَ ما قد تعودا
ليعلمْ عبيد التاج أنك سـيد … تزيد به التيجان مجداً وسُؤددا
وأن قريشاً أعظم الخلق هيبـة … وأكرم أخلاقاً وأشرف محتدا
تخرّ منيعات الجبـال مهابة … لبيت على رَمل الحجاز تشيدا

(١) إشارة الى وقفته الجريئة مع السفير البريطانى فى بغداد وقت حادثة الاشوريين

زكا أصـله قبل النبى محمـد … فكيف وقد أزكى النبىُّ محمدا
بتمكينه عهـد من الله خالد … على الدهر ما كرَّ الجديدان جُددا
تشيب الثريا قبل إنذار شيبه … ويوشك خدُّ الشمس أن يتجعدا

* * *

أفيصل إنى مرسل فيك شُرَّداً … يثبن اليك اللانهاية غُرَّدا
أكلِّفها نوْحا فتمضى شواديا … أوَابِيَ أن ترثيك حياً مخلدا
كأن حروف الخط أعواد جنة … على كل فرع بلبلٌ للعلى شدا
وقلَّدتُ منها كلَّ شطرٍ مهندا … يظل على هام العداة مجردا
اذا قرَع الراوى به سمعَ خائنٍ … تذوَّقَ طعمَ الموت شعراً مُردَّدا
وحسب القوافى أنها فيك أُلهمت … لِأَغدو بها رب البيان المسوَّدا
فقد يهب الحق الغرابَ فصاحة … وقد يُخرِسُ البُطْلُ الهزارَ المغردا
سبيلُكَ لم تسلكه الا منورا … وسهمكَ لم ترسله إلاّ مسدَّدا
وكنت لأشتات البلاد موحدا … كما كنت فى الدين الحنيف موحدا
وكنت لأجل المجد بالمال زاهداً … وكنت لأجل العرب بالمجد أزهدا
وكم خضت لاستقلال شعبك لجة … وكم جبت آفاقًا وكم جزت فدفدا
بعيد المنى لم تُلقِ مِرساةَ مطمحٍ … الى المجد الاّ سامك المجد أبعدا
مشيت له تستبطىء البرق مركبا … وأدركته تستوطىء النجم مقعدا
أرِحْ كبِدًا حمَّلتها كلَّ فادح … من الهم يعيى الشُّم لو كنَّ أكبدا
طَعامٌ على مضٍّ وشربٌ على قذًى … ومشىٌ على جمرٍ ونومٌ على مُدى
تصبَّرتَ حتى الصبرُ كاليأسِ قاتل … وحتى ذممنا فى الخطوب التجلدا
صعدت جبال الألب تنشُدُ راحة … وعدت كأن الألب فى القلب صعَّدا
كلا كِلُ همٍ لو أنيخت (بيذبلٍ) … لعاد (يزوفًا) يقذف الجمر والردى
خِيانةُ أحلافٍ وإخلافُ ساسةٍ … وغدر الذى أكرمتَه فتمردا (١)
مشَوابك بين الجيش والتاجِ موكبًا … أعدَّت له نَظَّارةُ الخلد مِرصدا
فلم يَرَ أهلُ الأرضِ أروعَ مشهدا … ولم تَرَ عينُ الغيبِ أفظعَ مشهدا
يمدون للتسليم فى لندنٍ يدا … ويخفون للتسليح فى نينوى يدا
وقالوا مليك العرب فى الغرب مكرَمٌ … فقلت إذن باتَ المليكُ مهددا
نصحتك لاتمدد الى أبرص يدا … ولو مطرت كفاه درا وعسجدا

(١) مار شمعون زعيم الأشوريين

رسول الوحدة العربية !

للشاعر الحضرمى على أحمد با كثير

يا أبا غازى ! ومافينا سِوى ‏ مُستطار يمزج الدمع بدمْ
يا أبا غازى وما فينا فتًى ‏ « عربىٌّ دمعُه » إلا انسجم
يا أبا غازى وما فينا فتًى ‏ ماراه - يوم ودّعتَ - الألم
ليت شعرى ، سامعٌ أسئلتى ‏ أنت ؟ أم فى مسمع الموت صمم ؟
فيم ودّعتَ على أجراحها ‏ أمّة العرب ولمّا تلتئم ؟
فيم غادرت بنى قحطان فى ‏ مِرجل يغلى ، ونار تحتدم ؟
أو لم تشرع لها وحدتها ؟ ‏ لو تلبّثت بها حتى تتم !
لم تجب قولى .. بلى ! هذا صدًى ‏ رنّ فى أعماق قلبى كالنغم :
مُكرهٌ .. لو كان أمرى بيدى ‏ لم أمت إلاّ وقد فقنا الأمم
ورأيتُ العرب فى وحدتها ‏ كشعاع النور يجرى فى الظُّلم !
همُّها أن تُصلح العالَم ، فى ‏ يدها السيف ، وفى الأخرى القلم !
هذه (الخُلد) ! وما أبغى بها ‏ وبنو الضاد ببؤس وضَرَمْ ؟
وأرى (الحوض) فأوّاه متى ‏ ترد العرب ينابيع الحِكَم ؟ !
وأرى (الحُور) فلا يُنسِيْنَ ما ‏ لفتاة العُرب عندى من ذِمم
ربّ لا نقض لما أبرمته ‏ فارزق العُرب هُماماً ذا شَمَمْ
بدوى العيش والخلقِ معاً ‏ حضرىّ العِلم ، غربىّ الهِمم
طابعُ (الوحدة) فى تاموره ‏ بعد توحيدك مرقوم بدم ! !
يخرج البدو فيبْنى منهمُ ‏ ثكنَ الجيش كأمثال الهرَم
يجعل (العرفان) كبرى آيهِ ‏ ويرى (القوة) فى الدنيا الحكَمْ

* * *

ذالكم (فيصلٌ) فابكوه وقد ‏ غاب عنكم شخصه ، والرُّوح لم
من إذا ما عزَمَ الأمرَ مضى ‏ وإذا ما أبصر الرأى عزمْ
وإذا ما قدمٌ زلّت به ‏ قام يمشى - غيرَ وانٍ - بقدم !
وإذا ما وقف الدهرُ مضى ‏ وإذا ما عبس الدهرُ ابتسم !

* * *

يا مليكاً هاشمياً ما له ‏ غير توحيد شعوب العرب همّْ
يختم النومُ عليه جفنَه ‏ فيراه فى تهاويل الحُلُم !
بِسَناهُ كنت فى (سوريّةٍ) ‏ مَلِكاً فى عرش (أقمار الحكَم)
وبه فى (ميسلون) استُشهدت ‏ مُهَجٌ لو لم تقِمها لم تقم
وبه اخترتَ - على كرهِكه - ‏ عرش (بغداد) ولم تأنف ولَمْ .
واثقاً أنك تشفى داءه ‏ بطريق الحرب أو طرق السَّلَم
فيصلٌ يَفْسَح للخطب اذا ‏ جاءه لا ينثنى ، لا يصطدم
فاذا الخطب الذى قد أمه ‏ قد تولّى خلفه كالمنهزمْ !
فيصلٌ لا يعرف اليأس ، ولا ‏ يرهب الموت ، ولا يخشى الغمم
فيصل العامل يمتدُّ له ‏ أمل النهضة ما امتدّ الأمَم
فيصل يعمل ما يعمله ‏ صامتاً فى غير عىٍّ أو سَأَم
يسهر الليل تناجيه المنى ‏ من رعى آمال شَعْب لم ينم
هذه (يعرب) ضلّت سيرها ‏ فهى حيرى تترامى فى ظُلَم
بعضها يعثر بالبعض ؛ وقد ‏ غرب الطالع ، والليل ادْلَهَمّ
وفم (الغرب) - وأخفى شخصه - ‏ جاهداً ينفخ فى النار الضرم

* * *

أيها الآوى الى فردوسه ! ‏ طالما أسهرتَ عينيك فنَمْ !
لا تخف شراً على العرب ، فقد ‏ لَقِنَتْ مبدأك الحُرّ الأشم
وسرى فيها ، فلن يهضمها ‏ طامع أجنبُ ، أو طاغٍ صَنَم
ولقد خلّفت فيهم (غازياً) ‏ علَماً يهديهم بعد عَلَم
لم يمت من عاش (غازى) بعده ‏ يرفع المُلك ، وللشَّعث يلُم
قم تهيأ للقاء (المصطفى) ‏ جدّك المبعوث فينا بالحِكم
فسيدنيك إليه فرحاً ‏ بمساعيك كباراً والخِدَم
والق (آل البيت) وارتع بينهم ‏ فى كروم الخلد أمثال النَّجُم !

على أحمد با كثير

لأمرٍ يلاقيك الفرنجىُّ باسماً ‏ فزد حذراً مازاد ذئب توددا
تراه صحيح الود وهو سقيمه ‏ كما تُكسِب الحُمَّى الخدود تورُّدا

حفيدَ رسول الله يا غوث أُمة ‏ اذا استنجدت لم تلق غيرك منجدا
بكل لسان رتلت لك آية ‏ وكل جنان شيدت لك معبدا
أذبت عليها حبة القلب ساهراً ‏ فسافر بحبات القلوب مزودا

الشاعر القروى

من العصبة الاندلسية

بين الشك والايمان

الشاعر الانجليزى بيرون (١)

Byron

(١٧٨٨ — ١٨٢٤)

للأستاذ خليل هنداوى

روح هائمة ونفس معذبة طغى عليها الشك فى جميع أدوارها، فارتعشت واضطربت وجدّفت، ومايجديفها إلا صدى تلك الحرقة الملتهبة فى قلب الشاعر الذى يريد أن يزيح ذلك الغطاء عن الحقيقة المحتجبة.

قضى الشاعر طفولته الأولى حراً لاتقرعه عصا الأبوة، لأنه نشأ تحت رعاية أم كثيرة الاشفاق عليه، دخل المدرسة وشيطان الشعر والفن أخذ يوسوس له ويقويه وهو لما يلبس أردية الشباب، فأنفق أيامه يزجى الفراغ متسلياً بالنظم لاهياً بالطرب. وفى هذا العمر الزاهى تسرّب إليه الشك ودعاه زهوه إلى الجحود، فجحد باليوم الآخر وحطم قيود التقاليد. ولكن سرعان ما أعياه التفكر فى حقائق الوجود وكم أعيت من قبله؛ فتعب من نفسه وهو الرقيق النفس، وتعب من الناس وهو ذو الروح الشاعر.

هجر وطنه وفى خلال هذه الهجرة بدأ ينظم مقطوعته الخالدة « طواف شيلد هارولد »

ومن هو هارولد؟ « هارولد عرفه الناس شر من جاور الناس، يعيش مستقلاً عنهم مزهواً بيأسه، يعرف كيف يتلمس الحياة فى زوايا نفسه. كذلك الكلدانى الذى أرسل عينيه فى النجوم، ومازال يحدق فيها حتى أسكن نجومها المضيئة كائنات مثلها مضيئة، فاذا استطاع أن يرقى بنفسه فى هذا الأوج كان سعيداً، ولكن الطين الذى جُبل منه يثقل عليه، وتراه — وهو الراغب فى النور الساطع — يبتغى أن يُهدم السد الذى يحول بيننا وبين السماء، تلك السماء التى تتفتح لنا فى أعاليها عوالم مضيئة. وانه لهائم فى منازل بنى الانسان يغلب عليه القلق ويزعجه التعب؛ مظلم النفس كثير الهم كاسف اللون كالصقر المهيض الجناح لايجد له وطناً إلا الفضاء الفسيح، فيأخذه هيمان يسلبه عقله، فهو يريد انقاذه منه، فيهيج ويدأب كالطائر الذى يقرع قضبان قفصه فيصبغ كساءه بدمائه، ونفسه السجينة المضطرمة أخذت ترشف هذه الدماء، دماء قلبه ... »

فأى فتى يتوارى وراء هذه الأبيات؟ هل هو غير الشاعر؟ وكل من قدر له أن يتذوق ماوراءها من يأس ومرارة يحس أن الشاعر لايستطيع أن يخرج عن نفسه، لأنه يستمد كل عوامل نظمه من نفسه، فلندعه يخلق الأشخاص ويولد الأبطال. فلن ترى وراء هؤلاء كلهم ناطقاً غير الشاعر، ولا قانطاً غير الشاعر، فهو ذلك الفتى النبيل الذى غامر فى ملذاته حتى عاده السأم، والسأم داء يقتل فى المسرات كما يقتل فى الأشجان، فتراه يهجر عالم الانسان كالمسحور « هائماً وراء أحلام مظلمة، يخنقه السرور ويهفو إلى الشقاء والحزن لأنه يجد فيهما مروّحاً عن نفسه، مغادراً وطنه، حاملاً معه إلى المواطن التى وطئها — وهى مواطن الانس ومرابع النزهة — فكرته التى تسعى وراءه كأنها شيطان لاحق به (١) »

عرّج على الاندلس ونزل فى (أثينا) مدينة الفلسفة، وهنالك استفزته هذه المشاهد التى تحمل طياتها التراث الفكرى الذى استلمه الحاضر من الغابر. وهذه المشاهد هى التى أوحت إلى (رينان) (٢) صلاته الخالدة، وفجرت فى قلب (شاتوبريان) (٣) ينابيع العاطفة والتصور. هنالك وقف (بيرون) ازاء هذه الآلهة المتناثرة على الحضيض، فسخر من الآله الموجود والآله المفقود.

يا ابن يوم واحد! أنهض وادنُ منى ....

أنظر إلى هذا المكان ... هو وطن شعب، ومأوى آلهة تبعثرت هيا كلهم.

الآلهة نفسها تتلاشى، ولكل شريعة أجلها ...!

(١) نشرنا فى العدد ٥٩ الجزء الثانى من هذه المقالة قبل أن ننشر جزءها الأول لأنه فقد فى البريد، وقد أرسل إلينا الأستاذ الكاتب صورته اليوم فعدنا لنشره (الرسالة)

(١) Taine : تاريخ الأدب الانجليزى

(٢) اشارة إلى صلاه هذا الفيلسوف على الأكروبول. وهى المقطوعة الأولى والأخيرة التى ظهر بها (رينان) شاعراً عميقاً تجرد من اثقال الفكر واتبع صوت العاطفة.

(٣) هو الكاتب الوجدانى الذى مهد الطريق بكتاباته للمدرسة الرومانتيقية.

بالأمس ساد (جوبيتر) واليوم يسود (محمد) [1] والعصور الآتية ستتخذ لها من مذاهب القوم مذهباً حتى يجىء عصر يجد فيه الانسان أن مايضرمه من بخور ويهدره من أضاحىّ يذهب عبثاً !

أيها الولد الحقير ! ياقذفة الشك والموت ! يامن يتوكأ رجاؤه على أقدام من قصب . . . ! »

وقف الشاعر إزاء (البريتون) وتحت قبته المنقوبة فرحَّب بالعدم وجعل عصره خير عصر لنا وغده خير غدلنا . فقال : « هاهنا قبة العقل ، هاهنا مأوى النفس . كل ما كتبه القديسون والسفسطائيون والعقلاء ، أقادر على أن يعمر هذا الجوب المنعزل ؟ ألا إن الراحة تنتظرنا على شواطىء (الاشيرون) . هنالك لايكره الذى شبع من الحياة على ان يستوى على هذه المأدبة المملة ، ولكن السكون يُعد ذلك المرقد الذى يحمل للجالس عليه السبات الأبدى »

ولكن بيرون لم يكن بذلك الجاحد الذى استراح ضميره وأراح ، فالحيرة لاتزال تغشاه ، والتردد لايزال يطغى عليه كأنما اتسع قلبه لنوازع يأكل بعضها بعضاً ، ويدمر بعضها بعضاً ، شأن الذى يركبه الشك ، ويتوارى عنه اليقين . وإنما يتميز بيرون من غيره من شعراء الشك بثورة دامية فى نفسه يُقدم وقودها من قلبه ليحرق بها قلبه ، وهو قلب قتله الظمأ الى اللانهاية ، هذا الظمأ الذى عجزت عن إطفائه سواقى الأرض .

قال (لامينى) لزملائه يوماً : أتعرفون ماذا جعل الانسان أشقى الكائنات ؟ هذا لأن له قدماً وضعها فى العالم المتناهى ، وأخرى فى العالم اللا متناهى ، وهذه هى حالة بيرون .

ولكن وجه الغرابة فى ثورة بيرون أنها اضطرمت فى صدره ولما يبلغ الثامنة عشرة ، وحق لمثل هذه الثورات أن تثور على مهل لأنها تأخذ غذاءها من العاطفة لامن العقل . وقد طغى اليأس عليه وهو مازال فى ميعة صباه ، ولكن قلبه يخفق ويخفق معلناً « أن الشباب ولّى ، وأن الحياة بليت ، وأن الرجاء نفسه قد أسدل على وجهه حجاباً . »

جاز بيرون بأحد القبور فقال : « ياأحلام طفولتى ! كم حسرة تتصاعد منى عليك . أنا لا أستطيع أن أنساك ، لأننى أجدما حولى ظلمات متراكماً بعضها على بعض ، لاشىء أعز على قلبى منك ياشعاع الماضى . »

وكتب وهو فى ڤينوس « إننى سأنفق شبابى حتى ينفد ، وبعدئذ أقول : عمى مساء أيتها الحيـاة ، فقد عشت وكنت مسروراً . »

ولكن ياله من سرور ! وهو القائل « أتيقظ فى كل صباح وبى يأس وسآمة من كل شىء ، حتى من الذى يطن بيهدى بالسرور . »

مِمّ يشكو الشاعر ؟ وما هى الأسباب التى أورثت قلبه هذه السآمة وهو ممن لم تعوزهم أسباب الهناء ، ولا ممن نزلت بهم حوادث الدهر ، وهذه المواطن التى جابها فى سياحاته تشفى البائسين وتداوى أصحاب الهموم ، ميدان الهوى أمامه رحب الفناء ، ومجال الحرية والمجد والبراعة واسع الفسحة ، فأية سعادة يطلبها ، ويلح فى تناولها ، ويشق نفسه فى تتبعها ، وأين يجبأن يتحرى عنها إذا لم يجدها هنالك ؟

قد علّل بعض النُقاد أسباب هذه المظاهر بافعام نفسه بالسرور الذى يخلق السأم ، ولاعجب إذا قتل السرور الكثير صاحبه كما يقتل الحزن صاحبه ، ولنسمع الشاعر نفسه يعلل هذه السآمة قائلاً :

« واأسفاه ! عواطفنا الفتية تذوب ضائعة ، حيث لاتنتج إلا قفراً فارغاً ، ولاينبت منها إلا أشواك مؤذية . . . ونبات بقدر ما يروق للعين منظره ، يؤذى القلب ويؤلمه . وأشجار يقطر منها السم القاتل ، هذه هى الأشجار التى تولد تحت أقدام الأهواء .

أيها الحب ! لست أنت من سكان هذا الوجود ! أيها الساروفيم الذى لايرى ، نحن نؤمن بك . أنت شريعة أصحاب القلوب المنكسرة فيها ، همّ الشهداء ، ولكن العين لاتراك ، ولن تراك بحقيقتك .

الحب هو هذيان ، وهو جنون الشباب ، لكن علاجه أمر من عذابه ، وعند ما نرى تلك الجواذب تتلاشى الواحدة بعد الثانية من أصنامنا الغرامية ، وعند ما نرى تلك الروعة التى كانت تتمثلها مخيلتنا فى حالة التسامى قد زالت ، فسرعان مايذهب هذا

---

(١) اشارة إلى الاتراك الذين كانوا يسيطرون على اليونان

الانجذاب عنا ، وبعد أن زرعنا الريح لم نحصد إلا العاصفة .

يأتينا الذبول ونحن فى فجر العمر . . . نشقى ونسأم ونسعى الى الغاية ، والغـاية تمعن فى الفرار . . . وظمؤنا لاينقع غلته شيء . . . وفى اللحظة الأخيرة ، ونحن على حافة القبر يعودنا خيال جميل هو خيال السعادة التى تحرينا عنها فى مطالع الحياة ، ولـكنه زار متخلفاً ، وجاد بالوصل حين لاينفع الوصل ، فنذوق الشقاء مرتين . . . .

الحب والطمع والبخل ، كل هؤلاء سيء ، ماهى إلا شهب واحدة تجيء باسم واحد . والموت وحده هو الدخان القاتم الذى يطفيء نارها . »

ما أدنى هذه العواطف من القلب ، لأنها ماخرجت من قلب إلا لتدخل فى قلب . . . ولـكن بيرون المظلم قلبه ماوجد على الأرض إلا الظلام ؛ وما أبصر إلاخيال السعادة مولياً أمامه ، فقيد الحقيقة — التى هى حقيقة الدهر — بهذا الخيال . وهو الشاعر قبل أن يكون فيلسوفاً . ولـكن هل كل جمال مآله الزوال؟ أكل حب يستقى من نبعة واحدة ، فهنالك أنواع كثيرة لجمال يزول وجمال يبقى ، وحب يتلاشى وحب يحيا ، فبأى نوع قيد الشاعر سعادته ؟

هاهو حائر كيف يقضى أعوامه هنا ؟ وكيف يستقبل ذلك العالم الهامد ؟ يأتيه الضجر فيبدع أشخاصاً وأبطالاً تغلى فيهم نزعة الضجر لأنهم يستمدون عواطفهم من عاطفته .

فهذا (مانفرود) يملك عليه السأم ، سأله الجنى : ماذا تتمنى ؟ فأجابه : النسيان ، نسيان نفسى .

وهذا هارولد كان يدعى : « الفتى السائم من الوجود » وهذا (جيور) كان لايجد أقفر من صحراء القلب الفارغ

وأخيراً آل به هذا الشك إلى جحود كل شيء ، فخلا قلبه من الحب وفرغ من الأمـل . واستحالت كل هذه الصفات النبيلة إلى كره للبشر ، وهل فى استطاعة من كرههم وأوسعهم ذماً أن يبدلوا ظلمة قلبه نوراً إذا لم يكن النور ابن قلبه ؟

لنصغ إليه وهو يحدثنا عن الناس « هل أعود إليهم كرة ثانية أتحرى عما يرجوه قلب هادىء فى هذه المواطن التى يغلب فيها إنهماك أصحابها فى المنكرات ، وحيث الضحكات ترتفع عبثاً لتخفى حقيقة القلب . هذه الابتسامة هى تؤلف أخدوداً لدمعة طافرة ستنسكب »

لم يستطع أن يحمل نفسه فطارها فى الآفاق يسليها بالوحدة فطابت له حياة منعزلة تقصيه عن الناس فى مواطن آهلة بالجبال التى يدعوها أصدقاءه ، منتحياً عن قوانين وحكومات أقسم ليكرهنها حتى يقضى نحبه .

وكأن هذا الألم قد أكسبه قوة ومناعة « أما الجمل فانه يحنى ظهره تحت الحمل ثم يمشى ساكتاً ، والذئب يموت ساكتاً ، ونحن الأولى تسمو جبلتنا على جبلتهم ، لنتعلم أن نتألم مثلهم »

ويقول بلسان أحد أبطال روايته « إننى شبيه بهذه الريح المشتعلة التى لا تسكن إلا الصحراء ، ولا تهب لوافحها إلا على الرمال . . الأسد وحده أتخذه لنفسى مثلاً » ويمثل هذا الـكبرياء حلى بيرون أبطال رواياته ، وجعلهم ناقمين ثائرين غير راضين عن الوجود ، فأتعب نفسه كثيراً وأتعبهم كثيراً . فاذا كان القعود عن الشيء يعد عجزاً فان التحليق فوق حدود الامكان ماهو إلا ضرب من ضروب العجز ، وان رفض الانسان الوجود رفضاً باتاً بحجة نقصه ، وان يهرب منه ومن اصحابه بداعى هذه الحجة هما من نقائص النفس التى تستر عجزها وترددها وراء هذا التهور الفارغ .

هذا هو الوجود ؛ إن وجدت فيه الجميل فاملكه ، وإن وجدت القبيح فحسنه وأصلحه ، وإياك ان تعف عن الأول بسبب الثانى ، لأن قوانين الحياة قاسية تسحق من يحاول ان يسحقها . هكذا أرادت أن تـكون ، وهكذا تريد أن تمشى

وفى النهاية لاتجدى هذه الـكبرياء شاعرنا شيئاً ، فهو تعس يود أن يعترف بتعسه لأنه لايستطيع أن يمشى كالجمل ساكتاً او يموت كالذئب صامتاً . فيقول :

« ما أشد تعسى ! أيامى أمست تجرى على وتيرة واحدة ، وليالى أقضيها بالسهاد ، لا أخالط المجتمع البشرى الاقليلاً ، اذا جاءنى احد منه لذت بالفرار . . إنها لحال مؤلمة لاينقذنى منها إلا الجنون »

كل هذه الأهواء الصـاخبة ، والأنات المتصاعدة يرسلها الشاعر وراء محبوبته ، الحقيقة . . ولـكن أين يجدها ؟

(بيروت) خليل هنداوى

العلوم

١ - التلفزة فى عهدها الأول

للأستاذ محمود مختار
بكلية العلوم

مقدمة :

ليس لعالم اللاسلكى حد ينتهى عنده . فهو يأتينا كل يوم بمعجزات لم تخطر على قلب بشر . فما كاد وليده بالأمس يكبر ويترعرع ويلعب دوراً جدياً فى الحياة يملأ الدنيا بهجة وسروراً بما ينشر من موسيقى شجية وأحاديث عذبة ومسامرات طريفة ، أقول ما كاد هذا الوليد يكبر حتى قال الأنسان الطماع « لو أن لى أن أرى ذلك الذى يشجينى بتلك الموسيقى ، ويبعث إلى بأحاديثه . لو أن لى أن يُكشف عن بصرى كما كشف عن سمعى . إذاً لكنت إنساناً آخر » . وسرعان ما وصلت هذه الأحلام إلى العقل البشرى الجبار حتى قام لفوره يقول « ليس فى الوجود معنى لكلمة مستحيل » فلم تكن كلمته محض هراء ، وهو الذى لا يلقى الكلام جزافا .

ففى سنة ١٩٢٦ طلع علينا العالم الانجليزى الكبير جون بيرد (John Baird) بجهازه الأول فى عالم التلفزة وعرضه بالمعهد الملكى فى لندن ونقل به صوراً لأجسام بسيطة كانت موضوعة بغرفة مجاورة . وبالرغم مما كانت عليه الصورة التلفزة من صغر واهتزاز وعدم وضوح ، كانت فكرة جبارة جريئة شغلت العالم بعدها وملأت الرؤوس فقام الكثير يعمل على تحسينها وإنمائها . فلم يمض عليها بضعة أشهر حتى قامت مصلحة التلفونات والتلغرافات الأمريكية بعرض هائل لتلفزة بعض الأجسام ما بين واشنجتون ونيويورك ، وقد كان من بين من اشترك فى هذا العرض ما لا يقل عن ألف مهندس كهربائى .

تخطى الوليد دور المهد بعد سنوات ثلاث تحت رعاية مخترعه الأول الذى تمكن من إذاعته مع أخيه الأكبر بنجاح تام من محطة B. B. C. للاذاعة اللاسلكية فى لندن على موجتين مختلفتين كما استقبلهما بجهازين منفصلين أيضاً .

ولأترك الآن النقطة التاريخية فى الموضوع لأنتقل إلى شرح جهازى بيرد للارسال والاستقبال كل على حدة . ويلاحظ أن التلفزة يقصد بها إرسال الصور الثابتة أو الأجسام المتحركة على حد سواء كما يمكن أن تنقل بواسطة أسلاك أو بدونها .

وتأخذ عملية الارسال ثلاث خطوات . تبدأ أولاها بتقسيم الجسم المتلفز إلى مساحات صغيرة ، وثانيتها بتحويل الأضواء المنعكسة من هذه المساحات إلى دفعات كهربائية ، وثالثتها بتكبير هذه الدفعات وإذاعتها على التعاقب بواسطة أسلاك أو بالأثير إلى جهاز الأستلام .

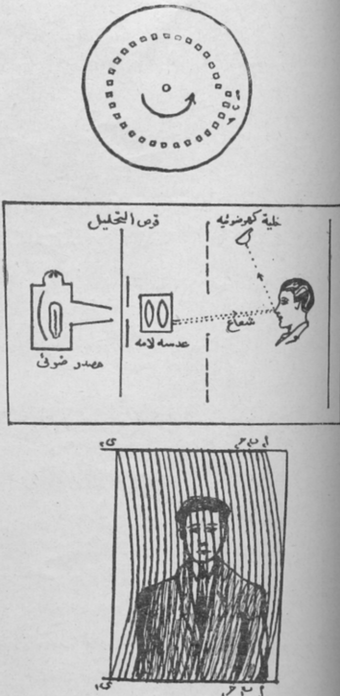
وللاستلام خطوات ثلاث أيضاً هى بنفسها خطوات الأرسال مأخوذة فى الأتجاه العكسى . فتبدأ باستقبال هذه الدفعات الكهربائية من الأثير وتكبيرها ثم تحويلها إلى دفعات ضوئية ، ثم أخيراً جمعها وإعادة تركيبها لتخرج صورة الجسم المتلفز .

ولأبدأ ببحث كل من هذه الخطوات على حدة متدرجاً من أبسط الأجهزة إلى ما تطور منها .

جهاز الارسال

فلتحليل الجسم المتلفز - ولنفرضه الصورة ا ، ب ، ى ، ى ، شكل (١) - يستعمل القرص المثقب ويكون عادة من معدن خفيف كالألمونيوم ويبلغ قطر دائرته حوالى ٤٠ سنتيمتراً ويحوى قرب حافته المستديرة ثلاثين ثقباً صغيراً مربعاً تقع على منحن على شكل لفة مفردة من حلزون صغير الزاوية كما هو مبين بالشكل ، ويوضع الجسم المراد تلفزته خلف هذا القرص كما يوضع أمامه ضوء قوى من قوس كهربائى . ويكون موضعى الجسم والضوء بحيث أن الخط الواصل بينهما يكون متعامداً على مستوى القرص ومارا

بأحد ثقوبه . ويدار هذا القرص بسرعة منتظمة قدرها ١٢½ دورة فى الثانية بواسطة محرك كهربائى مركب على محوره .



شكل (١) صورة رمزية لجهاز التحليل

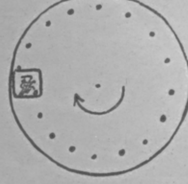
ولنفرض الآن أن القرص فى موضع بحيث أن شعاع الضوء المار من المربع (ا) يقع على النقطـة (ا١) على الجسم فيضيئها ، وتنعكسه هذه بقوة تتناسب مع قدرتها على العـكس ، فان كانت قاتمة كانت نسبة الأنعكاس صغيرة ، أو ناصعة كانت نسبتها كبيرة . فاذا تحرك القرص فى اتجاه بحيث يحمل معه المربع (ا) إلى أعلى تحرك تبعاً له شعاع الضوء الساقط على الجسم إلى أعلى فيضىء على التعاقب نقطاً من الجسم تقع على خط رأسى حتى إذا ماانتهى عند حافة الجسم العليا عند (ا٢) بدأ شعاع آخر يخرج من المربع ب ويقع على الجسم من أسفل عند (ب١) الملاصقة للنقطة (ا١) . وهذا هو الغرض من وضع ثقوب القرص على لفة من حلزون حتى يكون كل ثقب مزاحا عن سابقه بقليل بحيث يرمى شعاع الضوء الخارج منه على نقط ملاصقة لنقط الثقب الذى قبله . فاذا ماأتم القرص دورة كاملة شاهدنا ظهور الضوء أولاً عند (ا١) ثم سيره إلى (ا٢) ثم اختفاءه وظهوره ثانياً عند (ب١) وسيره إلى (ب٢) ثم إختفاءه وظهوره عند (ح١) وسيره إلى (ح٢) وهكذا حتى (ى٢) وبذلك تكون كل نقط الجسم قد أضيئت على التعاقب ، ويمكن أن نشبه حركة النقطة المضيئة على الجسم بحركة العين عند ماتقرأ كتاباً كتبت أسطره فى اتجاه من أسفل إلى أعلى .

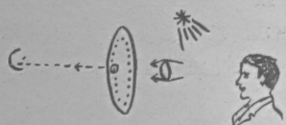
وعند مايأخذ القرص سرعته العادية (١٢½ دورة فى الثانية) لايمكن للعين أن تتبع حركة هذه النقطة المضيئة على الجسم بالتفصيل ، ولاحتى هذه الخطوط الرأسية المتلاصقة المتتابعة . بل سيخيل إليها أن الجسم كله مضاء إضاءة واحدة منتظمة من مصدر واحد مستمر .

ويوضع عادة بين الجسم والقرص عدسة لامة تعمل على جمع الأشعة الخارجة من الثقب على نقطة واحدة من نقط الجسم كما يغطى مصدر الضوء حتى لايتسرب منه ضوء إلى الجسم بطريق غير طريق الثقب .

وقد وجد أن هذه الطريقة تستلزم مصدراً ضوئياً قوياً إذ أن الجزء الساقط منه على الجسم صغير ، وهذا يسبب قلة استضاءة الجسم . هذا فضلاً عن أن هذه الطريقة تستلزم أيضاً وضع الجسم المتلفز فى ظلام حالك لايتسرب إليه أى ضوء خارجى وذلك مما يمنع تلفزة أجسام موضوعة فى ضوء النهار . فنقحت هذه الطريقة باضاءة الجسم ذاته من مصدر الضوء ، ثم وضع عدسة أمامه لتكوّن له صورة تقع على حافة القرص المثقب . بحيث لايمكن أن تغطى أكثر من ثقب واحد فى أى موضع من مواضع القرص كما هو مبين بشكل (٢) ففى أى موضع من مواضع القرص ينفذ من ثقب واحد منه شعاع ضوئى تتناسب شدته وشدة استضاءة نقطة الصورة الباعثة له . وبحركة دوران القرص يسير كل ثقب على الصورة على التعاقب فى اتجاه رأسى من أسفل إلى أعلى حتى إذا

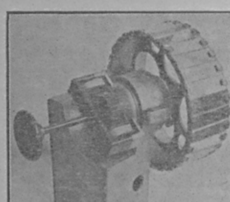
ماخرج من حافة الصورة العليا بدأ الثقب الثانى له يظهر فى أسفل





شكل (٢) صورة رمزية لجهاز التحليل فى ضوء النهار

الصورة ليمسح من الصورة خطاً رأسياً آخر يلاصق الأول وهكذا حتى إذا اما أتم القرص دورة كاملة أرسلت من ثقوبه على التعاقب أشعة تمثل فى شدتها وضعفها شدة استضاءة نقط الصورة كلها .



شكل (٣) طبلة المرايا للتحليل

وفى السنوات الأخيرة استبدل هذا القرص المثقب بعجلة على شكل الطبلة تثبت على حافتها الخارجية مرايا مستوية صغيرة بعدد ثقوب القرص تميل كل منها بزاوية صغيرة جداً على سالفتها شكل (٣) فتعكس الضوء الساقط عليها من المصدر على نقطة واحدة من نقط الجسم بمساعدة عدسة لامة وبدورا العجلة تمسح أشعة الضوء المنعكسة من المرايا المتعاقبة الجسم المتلفز بطريقة تشبه تمام الشبه الطريقة الأولى للقرص

كذلك استعمل لنفس القرص حلزون المرايا وهو شكل ثان لطبلة المرايا . وميزة أجهزة المرايا هذه أنها لا تشغل فراغا كبيراً .

* * *

وبأى طريقة من الطرق السالفة لتحليل الجسم المتلفز الى نقط صغيرة نجد أن كل عملية التحليل لا تستغرق سوى ١ من ١٢½ جزءاً من الثانية كما أسلفت . ومعنى هذا أنه يرسل للجسم ١٢½ صورة فى الثانية الواحدة . فان كان متحركاً اختلفت كل صورة عن سابقتها اختلافاً طفيفاً بحيث أنه عند عرضها فى جهاز الاستقبال بنفس السرعة ١٢½ صورة فى الثانية تظهر للرائى حركة الجسم كما هى الحال فى ظهور حركته بواسطة آلة السينما مثلاً .

هذه الأشعة المنعكسة من الجسم المتلفز فى حالة طريقة القرص الأولى أو المارة من ثقوب القرص فى حالة طريقة القرص الثانية أو المنعكسة من المرايا فى جهاز طبلة المرايا أو حلزون المرايا . كل هذه الأشعة تتحد فى خاصية واحدة كما أسلفت ، وهى أن كلا منها تمثل فى تغيراتها من حيث الشدة والضعف اختلاف نقط الجسم المتعاقبة من حيث الضوء والظلام . وعند هذه تنتهى الخطوة الأولى من خطوات الارسال .

* * *

هذه الأشعة الضوئية المتعاقبة التى حصلنا عليها . نريد الآن أن نحولها الى دفعات كهربائية تختلف شدة وضعفاً تبعاً لاختلاف شدة هذه الأشعة . وهذه هى الخطوة الثانية من خطوات الارسال.

القطب الموجب — الانود



القطب السالب — الكاثود ويبطن جدار الانتفاخ

شكل (٤) الخلية الكهرضوئية Photoelectric Cell

العين الكهربائية أو مانسميها علمياً بالخلية الكهرضوئية هى المحور الأساسى والجزء المهم فى جهاز التلفزة للارسال كما تكون أيضاً أهم أجزاء جهاز عرض السينما الناطقة . ولها أنواع كثيرة منها ماهو مبين [بشكل (٤)] . وهى عبارة عن انتفاخ زجاجى مفرغ من الهواء أو به غاز مخلخل وتحوى قطبين بداخلها ، أحدهما يبطن الزجاج من الداخل ويسمى الكاثود ويكون عادة من معدن البوتاسيوم ، أو الصوديوم ، أو الروبيديوم أو السيزيوم . والقطب الآخر وهو الأنود ، ويكون عادة على شكل سلك رفيع فى وسط الانتفاخ. ويوصل الأنود هذا بالطرف الموجب من جهد

القصص

الضـيف ...

بقلم الأستاذ محمد سعيد العريان

ودّ توفيق لو يهجر المدينة وأهلها ويقطع صلته بالناس فترة من الزمان ، فانه ليجد لذة ويحس أنسا أن يفارق هذه الصور التي يطالعها وتطالعه كل صباح ومساء ، لقد أطافت به نوبة من الضيق والملل حتى لايلقى أهله إلا بوجه عابس وطلعة متجهمة ، ودقّ حسّه حتى أصبح سريع التأثر قريب الانفعال . وكان فى إجازة طويلة ، والجو حار يهيج الأعصاب ويثير النفس ويبعث على السأم ؛ وإنه ليعيش بين أهله ولـكنه يشعر بالوحشة والانفراد فلا طاقة له على البقاء فى البيت ساعة من نهار ، ولا يجد فى القهوة مايسلّى نفسه ويشغل فراغه ؛ وقد هجره أصدقاؤه جميعاً إلى المصايف أو إلى بلادهم وخلفوه ونفسه يصارع الهم والوهم والوحدة والألم . . !

وتصورت فى خياله القرية التى مس ترابها جلده منذ ربع قرن ، والتى لا يذكر — لبعد العهد — متى هاجروا منها إلى المدينة ، وله . . . لاشك أنه سيجد هناك من جدة العيش وطرافته ما يحمل عن صدره أثقال الهموم ، ويهدى إلى نفسه الموحشة بعض الأنس والهدوء والدعة .

وتراقصت أمام عينيه صور جذابة من حياة القرية ويسر الحياة فيها بعيداً عن أسر التقاليد وتـكاليف الحضر ؛ وحضرته ذكريات حلوة من زياراته القليلة لأخته فى القرية ، فذكر مجالسه مع شبانها على حافة الساقية تحت شجرة التوت الغليظة تساقط عليه ثمراً شهياً ، ورياضاته فى جلبابه الفضفاض تحت المعطف الابيض على شاطىء الترعة وبين الحقول ، يتملّى بجمال القرويات غاديات رائحات من الترعة وإليها أسراباً أسراباً يجررن الذيول ، ويحملن الجرار على رؤوسهن ، ويهمسن بالغناء الساحر تسيل فى نبراته الرقة والعذوبة والحنين . وذكر مجالس الأنس والسمر فى الليلة المقمرة على مصطبة الدار ، وحديث القرويين يتنقل فى لذة وسحر بعيداً عن التزويق والادعاء الفاخر . . وزهته مظاهر التبجيل والاحترام التى تحوطه هناك .

***

كهربائى عال يتراوح بين ١٠٠ و ١٥٠ فولتا ، ويوصل الكاثود بطرفه السالب . ولهذا الـكاثود خاصية غريبة ، وهى أنه إذا ماسقط عليه ضوء انبعثت منه ألـكترونات واتجهت نحو الأنود ، وتسبب تياراً فى دائرته تتناسب قوته مع شدة الضوء الواقع على الـكاثود .

فاذا ماسلطنا الأشعة الضوئية المتعاقبة التى حصلنا عليها سابقا من تحليل الجسم على كاثود هذه الخلية سببت تيارات كهربائية فى دائرة الخلية تتغير تبعاً لاختلاف نقط الجسم المتلفز بالنسبة للضوء والظلام ، وتـكون هذه التيارات عادة ضعيفة جداً ، أى أنها لاتتعدى بضعة ميكروأمبيرات [الميكروأمبير يساوى واحدا من مليون من الأمبير] . لذلك كان من الواجب تـكبيرها قبل إرسالها ، وهذه هى ثالثة خطوات الارسال .

أما كيفية تـكبيرها وارسالها فهذا موضوع آخر يختلف تمام الاختلاف فى بحثه عن موضوع اليوم . وهو موضوع قائم بذاته يتطلب دراسة وافية لعلم الصمامات . فـكل مايهمنا الآن هو أن نعلم أن هذه التيارات الـكهربائية المتغيرة المارة فى دائرة الخلية الـكهرضوئية تؤخذ إلى هذا الجهاز المـكبر ومنه إلى جهاز الاذاعة حيث تذاع فى الأثير بنفس الطريقة التى تذاع بها الأمواج اللاسلـكية . ومن ثم إلى جهاز الاستقبال وموعدى به الرسالة القادمة .

محمود مختار

وفى اليوم التالى كان القطار يغذّ السير بتوفيق إلى القرية ، وقد أشعل بين أصبعيه دخينة وسبح فى أحلام لذيذة بهدوء القرية وسحر بناتها . . .

وتلقّته أخته بالترحيب والعناق ، وجلست إليه قليلاً تحدثه ويحدثها ، ثم تركته لتهيىء له الطعام بيدها ؛ طعام القرية الشهى الدسم اللذيذ . وتوافد عليه عارفوه وشبان أسرته يحيّونه ويتجاذبون وإياه أطراف الحديث يقطعون بين فتراته بالتحية المكررة والسؤال عن الصحة والأحوال . . !

وخرج معهم فى العصر يطوف بأزقة القرية يتعرّف إلى الوجوه والأبنية ، واخترق سبلاً وعرة بين الحفر وكومات السماد ، وبيوت متواضعة متقاربة كأنما تدانت للعناق . وانتهى به المطاف فى دار له بها عهد ، لأن صاحبها من ذوى قرابته ، واجتمع لفيف من شبان القرية وشيوخها يعثون التاريخ ، ويتناولون شتى الذكريات ، ويخوضون فى كل حديث ، ويتبادلون أنباء القرية وحوادثها ، وأنباء السياسة أيضاً ، وإن لهم فى السياسة لأحاديث لاتخلو من حكمة وبعد نظر .

وأعجب توفيق بحديثهم كما تعجب بحديث الطفل ، فأنصت إليه فى لذة وأنس ، كما يستمع السائح المؤرخ إلى خرافيات دليله الجاهل عن سر أبى الهول وأطياف وادى الملوك . !

وأديرت فناجين القهوة وانعقدت فى جو الغرفة سحائب الدخان ، واشتد الحر وأسال العرق على الجباه ؛ وشعر توفيق أنه يكاد يختنق وأن أعصابه تخونه ، وهم بالانصراف ولكنهم ألحوا عليه أن يجلس لجلس ، وأخذوا فى حديث الشياطين والجن ، فراح كل واحد منهم يحدث بما سمع ومارأى ! وتفننت عبقرية الجهل فى اختراع القصص المروّعة والروايات الغريبة ، وطفقوا يعدّدون الشياطين بأسمائها وحوادثها وضحاياها . . . وأشار « الشيخ » بيده فأنصتوا ومالوا برءوسهم إليه وقد أخذ يرقص شاربه وترجف شفتاه فى انفعال عصبىّ ، وشرع يقص على الحاضرين قصة العفريت الذى كان يتسوّر عليه البيت وهو شاب ليالى متتابعة ، فيقاسمه طعامه وشرابه وفراشه أيضاً فلا ينصرف إلا مع آذان الفجر ، والزنجية الحسناء التى كانت تصحبه ليالى فتحتل موضعه من الفراش ، وتضطره أن يقضى الليلَ معقودةً يداه خلف ظهره ورأسه بين ركبتيه إلى حائط الدار ، ثم لايفارقه العفريت وصاحبته قبل الصباح إلا بنفحة من دراهم ، أو عَصَوَيْن من نار تلهبان ظهره ، جزاء رضاه أو سخطه على مايصنعان . . !

وكان حديثاً غريباً على الضيف فحاول أن يتفلسف وينكر ويعلّل ، ولكنهم أنكروا منه ذاك ، وطلبوا إليه التسليم ، أو يتعرض لغضب الشياطين وأذاهم ، وكانت أعصابه مهيأة للتسليم فسكت ، واستمروا يتحدثون . وأحس رعدة خفيفة تتمشى فى جسده فسحب رجليه فى هدوء فدفنهما فى أطراف ثيابه ، وجمع يديه فى حجره ، ومال إلى المحدّث يستمع إليه هادئاً منصتاً فى شبه إيمان . لقد حطمت هذه الليلة الصاخبة أعصابه ، وهاجت وساوس نفسه المريضة .

وانتهت السهرة ولكن صاحبنا ظل جامداً فى مكانه ، لم يهمّ بالقيام حتى دعوه ، فنهض كَسِلاً متراخياً يكاد يسقط من إعياء .

وشيعوه إلى دار أخته ، وهو سارٍ بينهم يتعثر فى أوهامه .. ووجد أهل البيت نياما فلم يبق ساهراً إلا مصباح ضئيل موقد فى الردهة يرقص لهبه على عزيف الهواء . وكان يعلم أنهم أعدّوا له غرفة فى الطبقة الثانية فصعد فى السلم بطيئاً متثاقلا يتلفت بين الخطا والمصباح فى يمينه ، ودفع باب الغرفة بيسراه فسمع صوتاً يشبه أنين المستصرخ ، فأدار ظهره فى فزع ليرى من هناك ولكنه لم يجد شيئاً ، وعاد يدفع الباب فسمع حشرجة خشنة ، ثم ضحكة بشرية ناعمة . . !

ووقف فى وسط الغرفة يقلب بصره بين زواياها فى رعب وفزع ، وكانت به رغبة فى التدخين ، ولكنه لم يجرؤ أن يذهب إلى الغرفة الثانية — حيث أودع حقيبته — ليستحضر بعض التبغ . وخلع نعليه وهو جالس على حافة السرير وبداه ترتعشان ، وتتجاوب فى أذنه أصوات غريبة تفزعه وتسلبه الطمأنينة . ودفن نفسه فى الفراش ، واستلقى على ظهره وقلبه يدق دقات عنيفة ، وكأن يداً غليظة تقبض على عنقه ، وأشباحاً خفيّة تُطيف به .

وكان يعلم أنه ليس فوق السطح غير أكداس من الحطب والوقود ، ولكنه أحس دبيب أقدام ، وسمع أصواتاً غريبة هامسة ليست من صوت البشر ! أتراه أغضب الشياطين فأرسلوا إليه عفريتاً ينتقم منه ؟

وضاقت أنفاسه ، واضطرب فكره ، واشتد ضغط الوهم على صدره ، وهمّ أن يصرخ ويستنصر ، ولكن صوته احتبس ولم

يحرك لسانه . وشُبّه له أنه يرى شبحا من الضباب فى شكل غير إنسانى — وإن كان يمشى على رجلين — ينسل من النافذة مع ضوء القمر ، ويشير إليـه بالصمت فى إنذار وتهديد ! . . وسحب الغطاء يخفى عينيه فى حركة آلية ، ولـكنه أحس شيئاً بارداً يلمس أطراف قدميه ، فاستوى جالسا وأفلتت منه صرخة مكتومة . وتوارت الأشباح فلم يعد يبصر شيئاً ، ولـكن همهمة غير مفهومة ، ودبيباً وهمساً وأصواتاً غريبة كانت تصكّ أذنه من بعيد . واستلقى ثانية على الفراش وهو يحدّق فى الحائط الذى أمامه تحديق الخائف المذعور ، فقد أبصر ظلاً أسود مطبوعا عليه يحرك رأسه ويشير بيديه كأنه يتحدث الى شخص بعيد . وود توفيق أن ينظر إلى ماوراء ليرى المشار إليه ، ولـكنه خاف ؛ واستمر الهمس والدبيب يرنان فى أذنيـه ، وتتراقص الرُّؤى والأشباح أمام عينيه ، فلم ينم ليلته ؛ وفى الصباح مع أول خيط من ضوء النهار كان جالسا فى فراشـه يصفق بيديه فى عنف يستدعى الخادم ، ودخلت أخته تحيّيه ، فراعها مارأت فى وجنتيه من صُفرة الخوف وإعياء السهر ، وقالت له :

« توفيق ماذا بك ؟ »

— « لاشىء ، ولـكننى مسافر اليوم فأعدى لى ركوبة الى المحطة »

— « مسافر ؟ ولـكنك عرفتنى أمس أنك قد تمكث لدينا شهراً ، فلماذا غيرت رأيك ؟ »

— « لاشىء ، لاشىء ، قلت لك لاشىء . إن حقيبتى فى الغرفة الثانية ! . »

وآلمها لهجته فمطّت شفتيها آسفة وخرجت تنفذ ما أمر به ، ثم عادت تسأله :

— « حدثنى يا توفيق ، هل تألمت من شىء هنا ؟ »

— « لا ، ولـكنى لم أخبر أمى أمس أنى مسافر ، فأخشى أن يقلقها غيابى أو يؤلمها ، لذلك سأعود . »

— « ليتك لم تحضر ياتوفيق ! » وانصرفت لبعض شأنها . »

***

وحين تناول توفيق حقيبته من حيث وضعها أمس أفلتت منها ورقة فظنها سقطت منه ودسها فى جيبه قبل أن يقرأها .

ولما جلس فى القطار وضع يده فى جيبه ليخرج شيئاً فعثر بالورقة ، ونشرها بين أصابعه يقرؤها . . . وضحك توفيق وشاع فى وجهه السرور حين عرف ما هناك ؛ لقد كانت أخته تربى له ماعزة ولوداً ، فـكتبت له هذه الورقة أمس تخبره أن فى ضيافة ماعزته فوق السطح جَدْياً فلا يفزعه دبيبهما ريثما تردّ الجدى الى صاحبه فى الصباح . . .

لقد خاف توفيق وفزع ليلته لأنه كان يظن أنه وحـده ضيف البيت . . . ! ؟

محمد سعيد العريان

٦ ـ ســـــافو

لأوجيه اميـــل

ترجمة الأستاذ محمود خيرت

حنا — إن الشتاء قارس هناك فلم لا تقصدين الى باريس ؟

سافو — وماذا أعمل فيها وأنت بعيد عنى . ثم إننى ما عدت أجد فى الوسط الذى كنت قديماً فيه غير أسباب الأسى والهم . ولقـد امتلأت يدى منك فحسبتها امتلأت من حب كُتِب له الدوام ، وما لبثت امرأتك أكثر من سنة . عد يا حنا فتعود الينا تلك الأيام من جديد ، وتعود السعادة فتملأ جوانب قلبك وقلبى . تعال معى وسأكون كما تريد مُحِبَّةً طائعةً ، وسأفتح لك صدرى وأنزلك فى عينى . تعال إنك لا زلت تحبنى . رقَّ لحالى فليس غيرك يروى ظمئى وينسينى همِّى

حنا — لا يا فتى لم يعد هذا فى طوقى

سافو — ولِمَهْ ؟

حنا — لأننى لا أريد !

سافو — وآلامى وعذابى ؟

حنا — وماضيك ؟ (مبكتاً)

سافو — (وقد ملكها اليأس) الذنب فيه على الأيام . ومع ذلك ألم يمت ؟

حنا — بل هو حىٌّ يحول دون كل أمل فى الحياة معك بغير عذاب ودون كل أملٍ فى الحب بغير ريبة وعار . على أننى سأرحل .

سافو — قل إنهم هيأوك للزواج وأنت تسخر من دموعى وتلتذُّ على حساب ألمى . لقد حطَّمتَ قلبى ونثرت البقية الباقية من رجائى

حنا — (بشدة) ماذا ؟

سافو — سامحنى فما عاد لى غير أملٍ واحد هو أنت .

حنا — وهو واأسفاه أمل ضائع !

سافو — إننى أحبك يا حنا . أحبك ولن أجد سواك بل فراغ قلبى . رق لحالى . إرحمنى ، إننى أجثو عند قدميك

حنا — (وهى تحاول وقد تزعزع صوابه) فتى !

(هنا يدخل سيزار وديفون فجأة)

سيزار — كفى ياولدى وتعال

حنا — آه يا أبى . . .

سافو — لا . لن أصبر على بُعده (تتعلق به وأبوه يجذبه فتدفعها أمه)

ديڤون — (لها) دعيه واذهبى من هنا

سافو — ولـكن مَن أنتِ ؟

ديڤون — أنا أمه

سافو — آه سامحينى فما كنت أعلم ياسيدتى (تمد ساعديها نحو حنا وأبوه يجره وهو يلتفت إليها وهى تبكى) ها أنا ذاهبة ياحنا

ديڤون — (لاتستطيع أن تنظرها وهى على هذه الحال) آه يامسكينة

* * *

الفصل الخامس

(الفصل شتاء والمنزل فى أفريى ويظهر منه غرفة لها باب به مربعات (من الزجاج يطل على الفضاء وقد كساه الثلج)

سافو — (حزينة مفكرة ثم تنشد)

حال عهـدُ الهوى بعـد ما ابتسمْ
فهو حلمٌ حوى يَقظـة الألم
وكؤوس المُنى فى سنا القُبَلْ
جرَّعتنى العنـا من يَدِ المَلَلْ
واستبدَّت معى قسوة القـدَرْ
فجـرَت أدْمعى تشـبه المطر
هـا حبيبى هجَرْ إنَّ هجرَهُ
مثل وخز الابَرْ ما أمـرَّهُ
ليتَـهُ أنصفَا قبلما رحَلْ
يا فـؤادى كفى أخطـأ الأملْ

(بعد سكوت)

سافُ هـبّى فأكرمى ســاعة الواجب
إنَّـه مهجتى . دَمى طفلِيَ الغـائب
قم فقبِّـله يا فَمِى قبـلة التـائب